الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
قسم: الفلسفة

الموضوع:

أصول فلسفة التربية عند جون ديوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

من إعداد الطالبة:
بن سلامة أحلام

إشراف الأستاذ:
بوزبرة عبد السلام

السنة الجامعية: 2017/2016

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا ملؤه السماوات والأرض والصلاة والسلام على نبي الرحمة ونور العالمين عليه الصلاة والسلام .

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة "حسينة".

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليشق لي طريق العلم أبي العزيز "العياشي".

إلى من شقى وسعى لأنعم بالراحة والهناء إلى من أحمل له صدق المشاعر والأحاسيس زوجي "لحسن".

إلى من فرح قلبي وفؤادي بولادتهما توأم روحي، ولداي التوأم: عبد العظيم " و"عبد العليم".

إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم إلى جمال، ناجي، لخضر، حنان، ريمة.

إلى من عرفت معها معنى الحياة أختي الغالية إشراق.

إلى كل صديقاتي من الطفولة وحتى الآن.

إلى الروح التي فارقتنا قبل عامين ولكنها سكنت في ذكرانا فلم ولن ننساك يا خالي الغالي "سامي" رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

أحلام

تشكر و عرفان

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى على ما وفقني إليه بمشيئته

أتقدم بخالص الشكر للأستاذ "بوزبرة عبد السلام" المشرف على هذا البحث لما بذله من وقت وجهد في مساعدتي.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل الأساتذة الأفاضل أساتذة قسم الفلسفة.

أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساعدني ومدني بالكتب والمعلومات والنصائح.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من مدلي يد العون من بعيد أو من قريب، ولو بالكلمة الطيبة.

مقدمة

لقد شهد العالم في القرن العشرون نقلة فلسفية وحضارية من البلدان الأوروبية بروادها الألمان والإنجليز إلى العالم الجديد، فأصبحت القيادة الفلسفية في يد الولايات المتحدة الأمريكية، ولأن لا وجود لتربية بدون قواعد فلسفية فقد ظهر من المربين الأمريكيين من يحمل مشعل فلسفة التربية، وليس غريبا أن الغالبية العظمى من الفلسفات والحركات التربوية ظهرت على ارض أمريكا، في علاقتها الثقافية والسياسية والاقتصادية، وليس التأثير على الدول الأوروبية فحسب بل حتى على الدول الإفريقية والأسيوية؛ وهذا لامتياز العلماء والمربين الأمريكيين بالتحرر الفكري والحب الصادق للتجربة والبحث العلمي. وما يتمتع به المجتمع من حرية سياسية أكاديمية تشجعهم على البحث ماديا ومعنويا، والأهم تماشي هذه النظريات التربوية مع نتائج الأبحاث النفسية والتربوية والاجتماعية ومع مبادئ الديمقراطية ومتطلبات المجتمع الصناعي الحديث، وهذا كله ساعد على سرعة تطور التفكير التربوي الأمريكي وتقدمه، وعلى جعله يحتل مركز القيادة وممن تولى هذه القيادة أكثر من أي مربي أمريكي آخر، هو الفيلسوف والمربي "جون ديوي" ضمن التيار البراغماتي الذي يندرج تحت الفلسفة التقدمية –هذا الفيلسوف قضى حياته يبني سقفا تربويا عظيما- لازال قائما إلى يومنا هذا، ذلك لإيمانه بوحدة العالم ووحدة الشخصية الإنسانية واحترام الناس، وبقيمة الذكاء البشري في إصلاح المجتمع وتقدمه وتقديسه للعمل وتأكيده على الخبرة والتجربة كمصدر للمعرفة؛ وبهذه الأفكار رجح التربية كأداة تضمن إعداد مجتمع متطور؛ لأنها تربية لا تقوم على الأحلام والآمال؛ بل هي قائمة على فهم هذا العالم المتغير وترسم المبادئ والأسس التي تحكمه، وبالتالي فالنظرية تتناسب وتنسجم تماما مع المجتمع الحديث. ولتحقيق هذا فإنها فلسفة واعية للحياة الإنسانية. ومن هنا جون ديوي قام ببناء مشروعه وفكره على قواعد فلسفية مثلت المنطلقات، والتربية هي المختبر لهذه الأفكار وبهذا كان فكرا متقدما ومازال له الأثر العميق في الميدان التربوي في كل أنحاء العالم.

فما هي أصول فلسفة التربية عند جون ديوي؟ ما هي نظرته للفلسفة وما مفهومه للتربية؟ ما هو المنهج القويم لهذه التربية؟ وكيف طبقت هذه الأفكار وما السبيل لتقييمها؟

وهذا ما حاولنا تقديمه في هذه الفصول بحيث حاولنا في الفصل الأول الذي هو تحت عنوان "جون ديوي العوامل المؤثرة في نشأته" أن نعرف بجون ديوي المفكر والفيلسوف وقدمنا سيرته ونشأته وكذا أفكاره العامة، كما تحدثت عن البراغماتية وأثرها على الفلسفة التربوية الديوية وكذا العوامل المؤثرة في فكر ديوي.

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان: "أسس فلسفة التربية عند جون ديوي" وفي هذا الفصل تطرقنا إلى مفهوم التربية عند ديوي وعلاقتها بالخبرة وتعرفنا على النزعة التقدمية عند ديوي والمنهج المتبع في فلسفته للتربية ونقده للمناهج التقليدية، كما نتعرف على طرق التدريس عنده وتوسعه في أهم طريقة وهي طريقة المشروع وأهم تحدي هذه الطريقة. كما قدمنا نظرة ديوي للمدرسة بحيث هي الميدان التطبيقي لهذه الأفكار.

الفصل الثالث والأخير تحت عنوان: "تطبيقات التربية عند ديوي وتقييم لفلسفته التربوية" وهذا الفصل مرتبط بأفكاره التربوية وتطبيقات هذه الأفكار من خلال الأخلاق عند ديوي ومفاهيمه حول الديمقراطية والإصلاح الاجتماعي من خلال التربية كما تقوم في هذا العمل بتقييم النظرية من خلال إظهار امتداداتها وأهم الانتقادات الموجهة إليها.

وقد اعتمدت في هذا العمل على عدة مصادر ومراجع فمن المصادر استخدمت المدرسة والمجتمع، وكذا الديمقراطية والتربية بالإضافة إلى الاستعانة بالكثير من المراجع وأخص بالذكر مرجع أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي–جون ديوي وكذا مرجع زكي نجيب محمود تحت عنوان حياة الفكر في العالم الجديد.

أما عن المنهج المستخدم في هذه المذكرة هو المنهج التحليلي، حيث قامت الدراسة على تحليل المعطيات والمعلومات الموجودة في فكر المربي جون ديوي وكشف أصول هذا الفكر التربوي.

والأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع هو إعجابي بفلسفة التربية عامة وكذا الأفكار التربوية التي قدمها جون ديوي والتي تقدم للأمة الكثير إذا ما تم تطبيقها وتكييفها مع المجتمع فستعود بالفائدة على الفرد والمجتمع.

وقد اعترضتني في بحثي عدة صعوبات من بينها أن النصوص التي تم الاشتغال عليها تنتمي إلى الفلسفة الأمريكية، بالإضافة إلى أن جل المصادر تعالج موضوع فلسفة التربية عند جون ديوي وهذا ما أدى إلى كثرة المعلومات وتشعبها.

تمهيد:

لقد تطورت النظريات التربوية في العالم منذ العصور البدائية حتى القرن العشرين ورغم أن فلسفة التربية بقيت على نفس الجوهر إلا أن مفهوم التربية اختلف من مفكر إلى آخر من الفلاسفة الذين ذهبوا إلى الحديث عن التربية "جون ديوي"، وقبل الحديث عن أصول فلسفة التربية وجب الحديث عن هذا الرجل العظيم والتوقف عند أهم المراحل التي مر بها في حياته، وبعدها يجب معرفة البراغماتية وكيف أثرت هذه الأخيرة على الفكر التربوي الذي جاء به جون ديوي باعتبارها النزعة الذي يتبناها هذا الفيلسوف فلا يمكن أن تخرج التربية عنده عن هذه النزعة، كما لا يمكن أن نغفل على المصادر الأخرى التي استمد منها جون ديوي فكره وجعلها مصدرا له: فمن هو جون ديوي؟ وما هو المنظور البراغماتي للتربية؟ وما الخلفية المعرفية التي انطلق منها جون ديوي؟

المبحث الأول: جون ديوي المفكر والفيلسوف.

المطلب الأول: سيرة ونشأة جون ديوي.

ولد جون ديوي في 20 أكتوبر عام 1859م في مدينة برلنجتون Berlengton من ولاية فرمونت Verment الواقعة شمال الولايات المتحدة الأمريكية على مقربة من حدود كندا.[1]

كان والده أرخيبالد مزارع قليل الثقافة ولم يحصل على تعليم منظم فشب ناقص التعليم، ولكن ممارسته للزراعة جعلته يكسب أولاده ثقافة الاعتماد على النفس، أما والدة جون ديوي "لوسينا أرتميسيارتش" فقد كانت أعرق نسبا وأوفر ثروة وأغزر علما وأرهف ذوقا.[2]

1-دراسته:

دخل جون ديوي المدرسة الابتدائية وكان منطويا على نفسه خجولا قليل الاختلاط بزملائه ومدرسيه، أكمل دراسته الثانوية سنة 1870م ودخل جامعة فرمونت سنة 1952م، وعلى الرغم من اهتمامه بالفلسفة أثناء دراسته في تلك الجامعة فإنه كان مترددا غير مستقر الاتجاه في الدراسة.[3]

وفي الجامعة درس ديوي اللغة اليونانية واللغة اللاتينية وكذا الرياضيات والعلوم الطبيعية وعلم النفس كما قرأ فلسفة أفلاطون وافتتن بها فكتب يقول: "إن قراءتي المحببة هي محاورات أفلاطون وأن الفلسفة الحقة هي في الرجوع إليه".[4]

وتخرج من الجامعة بأعلى الدرجات في مادة الفلسفة وبعد تخرجه أنفق ثلاثة أعوام في التدريس بالمدارس الثانوية وأفادته هذه الممارسات للتدريس في تكوين نظرياته التربوية فيما بعد –وفي عام 1879م نشر أول بحث له عن الفلسفة في إحدى المجلات العلمية. وقوبل هذا البحث بالثناء مما شجعه على مواصلة المشوار

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي- دار المعارف، القاهرة، ط3، 1986، ص15.

[2] كفاء يحي صالد العسكري: الغزالي وجون ديوي ونظرتهما للطبيعة الإنسانية، منشورات شبكة العلوم النفسية والعربية، العدد2، 2013، ص ص36.37.

[3] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، جون ديوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص499.

[4] محمود عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط4، 1986، ص ص379- 380.

في الفلسفة، ثم التحق بالدراسات العليا بجامعة جونز هوبكنز حيث تعلم على يد "جورج سيلفستر موريس" وعنوان رسالته كان "علم النفس عند كانط" حيث قام "جورج" بتدريسه كل من كانط Immanuel Kant (1724م-1804م) وكذا هيجل Georg Wilhem Freedrich Hegel (1770م-1831م) فدرس ديوي فكرهما باستغاضة.[1] وبعد أن حصل على الدكتوراه من جامعة جونز هوبكنز عمل مع موريس في جامعة متشجن في سنة 1884 حيث بقي فيها طوال عشر سنوات وفي أثناء تدريسه تغيرت نظرته الفلسفية وضاق ذرعا بالمثالية واتجه بفلسفته اتجاها عمليا وقد نشر عدة مؤلفات في علم النفس.[2]

وفي سنة 1894 عين أستاذا ورئيس لقسم الفلاسفة في جامعة شكاغو وهنا أنشأ ما يعرف باسم "معمل ديوي" للقيام بتجارب في علم النفس والتربية لتحقيق فروضه.[3]

وأثمرت إقامته في شيكاغو واشتغاله رئيسا لقسم الفلسفة في هذه الجامعة ثمارا فلسفية وتربوية، وقد اتجه إلى تنمية مذهبه في الأخلاق وعلم النفس والنطق ثم تفرغ لتدريس طلبة الدراسات العليا، واتخذ منهم ندوة علمية ومدرسة فلسفية يردد فيها أصداء الفكر فأحيا بذلك سنة المدارس الفلسفينة مثل أفلاطون وأرسطو، وأصدرت هذه المدرسة مجتمعة كتابا بعنوان "دراسات في النظرية المنطقية" وجاء هذا الكتاب في أحد عشر فصلا أربعة بقلمه وسبعة بقلم زملائه وتلاميذه، وقد أعيد طبع هذا الكتاب فيما بعد بعنوان مقالات في المنطق التجريبي وحينها صدر الكتاب في طبعته الأولى فرحب به ويليام جيمس William James (1842م-1915م) وأعلن مولد "مدرسة شيكاغو صاحبة الاتجاه البراغماتي ويمتاز هذا الاتجاه بالنزعة الأداتية وهي النزعة التي اشتهر بها جون ديوي وأصبحت عنوان لمذهبه.

وفي عام 1904م حدث ما لم يكن في الحسبان، ففي الوقت الذي تألقت فيه مدرسة شيكاغو نرى جون ديوي يختلف مع مديره الجامعة حول إدارة المدرسة التجريبية، ولم يقبل ديوي الوضع فقدم استقالته التي قبلها مدير الجامعة.[4]

---

[1] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود أحمد سيد، دار التنوير، بيروت، ط1، 2010، ص 505.

[2] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص116.

[3] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، ص499، 500.

[4] محمود عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص383.

بعدها انتقل إلى جامعة كولومبيا وظل فيها حتى أحيل إلى التقاعد سنة 1931م توفي عام 1952م.[1]

ولم يقف نشاط جون ديوي عند الفلسفة أو التربية أو علم النفس بل وتجاوزها إلى السياسة فقد كان من المؤمنين بالديمقراطية ودافع عنها أروع دفاع، كما أرسى قواعدها على أسس فلسفية وربطها بالتربية حتى ينشأ الطفل منذ صغره على عشق الديمقراطية ومحبة الحرية.[2]

ولديوي العديد من الزيارات إلى العديد من الدول ففي عام 1904م قام برحلة إلى أوروبا. إنجلترا وإيطاليا، وفي عام 1919م قام برحلة إلى اليابان والصين كما ألقى محاضرات بطوكيو والصين، كما قام برحلة إلى روسيا.[3]

مؤلفاته:

كان ديوي كثير التأليف فكتب في الميتافيزيقا وفلسفة العلوم والمنطق وعلم النفس وعلم الجمال والدين من مؤلفاته:

-سنة 1882 – نشر أول مقالة له تحت عنوان الدعاوي الميتافيزيقية للمذهب المادي.

-سنة 1887م علم النفس.

1889م –كتب علم النفس التطبيقي.

1892م –نشر مدخل إلى الفلسفة.

ونشر كتاب عقيدتي التربوية سنة 1897م.

-علم النفس والمنهج الفلسفي سنة 1900.

-المدرسة والمجتمع سنة 1900م.

[1] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ص500.

[2] محمود عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص383.

[3] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي–جون ديوي–، ص18.

-الطفل والمنهج الدرامي سنة 1902م.

-دراسات في النظرية المنطقية 1904م.

-كيف نفكر؟ 1910.

-الديمقراطية والتربية سنة 1916.

-الذكاء المبدع سنة 1917. تجديد في الفلسفة عام 1920.

-الطبيعة البشرية والسلوك عام 1922.

-الخبرة والطبيعة عام 1925.

-الجمهور ومشكلاته في عام 1927.

-شخصيات وحوادث سنة 1929.

-البحث عن اليقين سنة 1930.

-عقيدتي الفلسفية 1931.

-الفن كخبرة –وإيمان مشترك سنة 1934.

-الحرية والثقافة. نظرية القيمة سنة 1939.

-التربية في العصر الحاضر سنة 1940.

-المعرفة والمعروف سنة 1949.[1]

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي–، ص ص19-20.

المطلب الثاني: أفكار الفلسفية العامة:

كان ديوي من أعظم فلاسفة القرن العشري، فإذا ما أخذنا لأفكاره الفلسفية العامة نجدها حضيت بشرح وتفاسير في كثير من كتبه ومقالاته، والدارس لفكر "ديوي" يستطيع أن يدرك أن "جون ديوي" استطاع أن ينجح لحد كبير في تكوين فلسفة كاملة متكاملة، كانت التربية مجال التطبيق في أهدافها ومناهجها ولفهم ميدان التطبيق لابد من الاطلاع على النظري أي آرائه ووجهات نظره بالنسبة للمشاكل الفلسفية الرئيسية المتصلة بطبيعة الكون ونظرية المعرفة ورؤيته للفلسفة وأهميتها وهدفها .

يرى ديوي أن الفلسفة لم تنشأ عن مادة عقلية، أي من مجرد التفكير النظري في مشاكل الوجود والكون والإنسان، بل كانت محاولة للتوفيق بين المعتقدات المنقولة والشائعة وبين التبرير العقلي لها.[1] وفي عصرنا الآن يقول: "أن الفلسفة أدرى أن تكون تعبيرا عن موقف معين من غرض معين وعن مزاج معين متصل بالعقل والإرادة منها بنظام نستطيع ضبط حدوده ضبط واضحا".[2]

ويؤكد ديوي على ضرورة أن تتصدى الفلسفة للواقع إذ يقول: "إذا أقر بأن الفلسفة تحت قناع أنها تبحث في الحقيقة المطلقة، إنما كانت فعلا تهتم بدراسة القيم السابقة الراقدة في الأصول الاجتماعية وأنها نشأت من الصراع والقادم بين الغايات الاجتماعية ومن تنازع المؤسسات الموروثة مع الميول المعاصرة – نقول إذا تبين كل هذا فهناك يتعين أن مهمة الفلسفة في المستقبل هي أن توضح أفكار الإنسان عن النزاعات الاجتماعية والأخلاقية في زمانهم وهدفها أن تكون قدر الطاقة الإنسانية أداة لمعالجة هذه النزاعات".[3]

ولهذا يعتقد ديوي أن إذا أرادت الفلسفة أن تصلح نفسها فعليها أن تمتنع عن معالجة المشكلات التي تصدى لها الفلاسفة القدماء، وتصبح منهجا لمعالجة مشكلات البشر، ولهذا نادى بوجوب عودة الفلسفة إلى التجربة وأن تنبذ المطلقات وأن تجد فكرة التحكم في الطبيعة بواسطة الذكاء الخلاق للإنسان، ليحول كل

[1] عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975، ص27.

[2] وليام جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص15.

[3] عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، ص27.

موقف غير محدد؛ أي مشكلة إلى موقف محدد،[1] ويلخص "ديوي" الخطوات التي يتبعها المرء في بحثه إلى خطوات خمس:

-تحديد المشكلة التي أحدثت الموقف وهنا لابد من الذكاء لأن الخطوات الآتية تعتمد أساسا على هذه الخطوة.

-استعراض الحلول الممكنة لحل هذه المشكلة.

-النظر في النتائج المترتبة على هذه الحلول.

-الربط بين هذه النتائج بمزيد من الملاحظة والتجريب.

-تكون المرحلة الأخيرة باتخاذ الحل الذي يوجد بين عناصر الموقف.

إذن مهمة التفكير حل المشكلات، والنظر في هذه الحلول هو عبارة عن الحكم في نشاط السياق أي بعيد عن أي مشاكل غيبية لا علاقة لها بالحقائق النهائية المطلقة. من التجربة نبدأ وإلى التجربة نعود هذا ملخص نظرية البحث التي عرضها "جون ديوي" في كتابه "المنطق نظرية البحث" ومعنى الصدق عنده ليس كمعناه عند المنطقيين، حيث يبحث هؤلاء في شروط الصدق، أما ديوي فيؤكد أن للصدق شروط تحدد بالقول "منتج" أو "أدائيا" والبحث ليس مطلق مثالي بل هو تحويل المشكل إلى حل، البحث ليس وصف ما هنالك بل تغيير ما هناك وهذه القاعدة الفكرية والفلسفية التي يبنى عليها صرحه الفلسفي.[2]

1-أفكاره المتعلقة بطبيعة الكون وطبيعة الإنسان:

ومن أبرز أفكاره المتصلة بطبيعة الكون، هو إيمانه بأن العالم ليس ثابتا جامدا، ولا نظاما مقفولا ولكنه عملية ديناميكية من التغير والتطور المستمر والحياة في مثل هذا العالم المتغير باستمرار لا تعدو عنده أن تكون عملية مستمرة من التكيف التجريبي للظروف المتغيرة المتجددة. ورغم إيمانه أن جميع مظاهر الكون تتطور إلا أنه يتفق مع علماء الاجتماع المحدثون من أن معدل سرعة هذا التطور قد تختلف من مظهر إلى آخر وأوضح هذه المعتقدات في كتابه الخبرة والطبيعة وعالج في هذا الكتاب:

[1] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص119.

[2] نفسه، ص120.

-الثقافة كتلة من الخبرات الإنسانية.

-استمرار الطبيعة باستمرار الخبرة.

-مظاهر الوجود المختلفة لا تعدو أن تكون سلسلة من الأحداث المترابطة المستمرة.

وهو كعادته في جميع نظرياته الفلسفية يؤمن بمبدأ الواحدية، ويرفض مبدأ الثنائية ومبدأ الكثرة وتطبيق لمبدأ الوحدة بالنسبة لطبيعة الإنسان.[1]

وليس هناك فرق بين الفرد والمجتمع فكل منهما متلازم مع الآخر أي عدم وجود ثنائية (رغم إيمانه بفردية الإنسان أي كل فرد مميز عن غيره من الأفراد وهذا مبدأ الفروق الفردية) .[2]

ولإيمانه بالتوافق والتأثير المتبادل بين الإنسان والطبيعة، فهو لا يرى فاصلا بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، فالثورة العلمية التي خطت خطوات جبارة من العلوم الطبيعية والرياضية والبيولوجية فقط ولم تساير العلوم الإنسانية هذا التطور، فكان لابد لديوي أن يمعن النظر في تحقيق هذه الصلة بين التيارين فألغى هذه الثنائية القائمة بين منهج للعلوم ومنهج آخر للأخلاق، باعتبار العلم هو التفكير النظري والأخلاق هي سلوك عملي، وهذا المنهج الجديد الذي سماه الأداتية. كما أراد تخليص علم النفس من النزعات الميتافيزيقية والبحث في الشعور وتطبيق العلوم البيولوجية على الدراسة النفسية للإنسان وتطبيق العلم الحديث ومناهجه على العلوم الاجتماعية مثل التاريخ والسياسة...إلخ.

فالاختلاف بين مجال الأمور الإنسانية ومجال العلوم الطبيعية لا يوجد وإن وجد فهو اختلاف في الدرجة وليس اختلاف في النوع، وبالتالي تصلح نظرية ديوي في البحث لمعالجة كافة الموضوعات سواء كانت خاصة بالنواحي الإنسانية أم بالناحية الطبيعية، يقول ديوي: "إن مشكلة ثقافتنا المعاصرة أن نحل التكامل محل الانقسام، وطريقتنا إلى ذلك لا تكون إلا بوسيلة موحدة تتخذها فيما نتناوله ونجربه، ولن نتمكن من ذلك إلا إذا اعترفنا بما يوجد في بناء البحث من وحدة سواء كان هذا البحث بحثا في مجال الأمور الإنسانية أو في مجال الأمور الطبيعية وأن نعتبر ما قد يكون بينهما ناتجا من أن لكل منهما منطقا خاص به".[3]

---

[1] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، 1981، ص340.

[2] زكرياء إسماعيل أبو الضيدعات: الديمقراطية وفلسفة التربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2009، ص98.

[3] سعيد إسماعيل علي: أصول التربية العامة، دار المسيرة، عمان، ط1،2007، ص346.

2-أفكاره المتصلة بنظرية المعرفة:

المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية من وجهة نظر ديوي هو الخبرة والنشاط الذاتي للفرد، من خلال تعامله مع البيئة،[1] وبالتالي كسب المعرفة يتطلب من قبل الباحث شيئا من التفاعل الاجتماعي، المباشر وغير المباشر، وهو يؤمن بأداتية المعرفة والخبرة ووظيفتها باستمرارها، تطبيقا لمبدأ الأداتية أو الوظيفية ومبدأ إمكانية التطبيق ولمبدأ الاستمرار التي تعتبر من أهم المبادئ التي تقوم عليها فلسفته العامة، وفلسفته التربوية. فلا قيمة لأية معرفة لا يمكن استعمالها وتطبيقها في الحياة الحاضرة أو المستقبلية، وحتى في معرفة الماضي؛ فلا قيمة لمعرفة الماضي؛ إذ لم تساعد على فهم وحل مشكلات الحاضر؛ ولم تساعد على التنبؤ بالمستقبل، ووظيفة المعرفة أن تساعد الفرد على توجيه خبراته، وكلمة "تجربة" هي التي تضع الحد الفاصل بين المعرفة والعادة وذلك أن العادة دون معرفة لا تساعد صاحبها على التغيير والتجديد أما المعرفة فتعطي للفرد حرية التصرف اتجاه تغيرات وتقلبات المستقبل. كما يعطي ديوي من الطريقة التجريبية وينظر إليها على أنها مصدر مهم للمعرفة ووسيلة أساسية للتحقق من صحتها، وليس فقط في المسائل العلمية فحسب بل وحتى المسائل الاجتماعية والإنسانية.

ومن المسائل الفلسفية والنفسية التي اهتم بها "جون ديوي" والتي لها صلة بنظرية المعرفة، هي مسألة التفكير، وقد عالج "ديوي" هذه المسألة في كتابه "كيف نفكر" وحلل فيه شروط العقل وظروفه التي تدفعه إلى التفكير وهو يرى أن التفكير لا يتم في فراغ ولا في انعزال عن شؤون الحياة، ولكنه يتم في بيئة اجتماعية وثقافية مليئة بمثيراتها ودوافعها التي تحمل الفرد على التفكير ليتغلب على مشاكل الحياة التي تواجهه.[2]

[1] زكرياء إسماعيل أبو الضيعات: فلسفات تربوية معاصرة، ص64.

[2] عمر محمد التومي شيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص345.

المبحث الثاني: البراغماتية وتأثيرها على فلسفة جون ديوي:

المطلب الأول: مفهوم البراغماتية وطبيعتها:

لقد اتجهت الحياة الفكرية في أمريكا وجهة جديدة تتفق مع اتجاهات الناس في هذا العالم الجديد وهي تلك الاتجاهات العملية التي يتميز بها بصفة خاصة رجال الأعمال الذين يهمهم في المحل الأول تحقيق النجاح في الحياة، وعلى هذا النحو ظهر في أمريكا مفهوم جديد للتجربة هو التجربة أو الخبرة البراجماتية.[1]

البراغماتية في الفرنسية Pragmatisme وفي الإنجليزية Pragmatism وهي مشتقة من اللفظ اليوناني براغما ومعناه العمل وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية ومعنى ذلك كله أنه لا يوجد في العقل معرفة أولية تستنبط منها نتائجها الصحيحة بصرف النظر على جانبها التطبيقي بل الأمر كله رهن بنتائج التجربة العملية التي تقطع مضان الاشتباه.[2]

والبراغماتية حسب لالاند هي مذهب يرى أن الحقيقة علاقة ملازمة كليا للاختبار البشري وأن المعرفة أداة في خدمة الفعالية وأن للفكر طابعا غالبا في الأساس فحقيقة قضية تكمن إذا في كونها مفيدة، ناجحة مرضية.[3]

البراغماتية فلسفة علمية انبثقت من الروح المادية للقرن العشرين وارتبطت بتطور مناهج البحث العلمية والاتجاهات الواقعية المعاصرة وهي أمريكية النشأة رأسمالية الاتجاه، والبراغماتية تتفق مع الماركسية في الارتداد إلى المادة والواقع وفي استخدام الأسلوب العلمي لكنها تختلف عنها جوهريا في مدلولها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لأنها تمثل فلسفة المجتمع الرأسمالي والمقصود منها هو المذهب العملي أو المذهب النفعي.[4]

---

[1] يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص133.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، البراجماتية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص203-204.

[3] أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، البراغماتية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 2001، ص1014.

[4] سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، ط1، مكتبة مدبولي، ط1، 1973، ص49.

فالبراغماتية تؤكد على أن الأثر العملي هو المحدد الأساسي في صدق المعرفة وصحة الاعتقاد بالحياة الاجتماعية للناس فالقيمة والحقيقة لا تتحدان إلا في علاقتهما بالممارسة العملية.

فالبراغماتية فلسفة تعبر عن مزاج العالم الجديد المعروف بأمريكا فهي فلسفة لا ترجع في تاريخها إلى أكثر من قرن من الزمان وهي ثمرة التفاعل بين الأفكار التي حملها المهاجرون والأوروبيون إلى أمريكا بين البيئة التي نشأوا فيها. فهي تجربة تقوم أولا وأخيرا على الفعل أو النشاط العملي الذي يترجم الفكرة ويعبر تعبيرا واقعيا عن نجاحها أو فشلها.[1]

فالفكرة لا قيمة لها إذا لم تتحول إلى عمل منتج وناجح ومفيد نشأت الفلسفة البراجماتية في النادي الميتافيزيقية الأمريكي فيما بين عامي 1872 و1874، وكان بيرس قد تقدم إلى هذا النادي ببحث نشر بعد ذلك في مقالتين منفصلتين أحدهما ظهر في عام 1877 تحت عنوان "تثبيت الاعتقاد" والآخر بعنوان "كيف نوضح أفكارنا" والذي ظهر في عام 1878. وقد حاول بيرس في هذا البحث أن يجيب عن هذه الأسئلة:

متى يكون للفكرة معنى؟ ومتى تكون العبارة صادقة؟ ومتى يجوز لنا أن نتكلم عن العبارة بوصفها معبرة عن فكرة ومتى لا يجوز؟.[2]

تشارلز بيرس هو مؤسس المذهب البراغماتي وهذا ما أكده جون ديوي في قوله: "يرجع أصل البراغماتية إلى تشارلس بيرس نجل أحد مشاهير الرياضيين في الولايات المتحدة، وكان بيرس الابن بارعا كذلك في الرياضيات وهو أحد المؤسسين لمنطق العلاقات الرمزي الحديث. ولم يكن بيرس لسوء الحظ كاتبا منظما ولم ينشر آراءه في مذهب واحد منسق. والطريقة البراجماتية التي أنشها إنما تنطبق على عالم من الفكر ضيق ومحدود جدا".[3]

يرى ديوي أن تشارلز بيرس هو المؤسس للمذهب البراغماتي، والأصل الأول في نشأته يرجع إليه، ولكنه لم يكتب فكره بشكل منظم ومنسق وهذا ما جعل فكره محدود.

---

[1] أحمد محمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي–، ص83.

[2] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص97.

[3] نقلا عن: أحمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي–، ص84.

وقام فكر تشاليز بيرس البراغماتي على أنه توجد في عقولنا أفكار متعددة لها مقابلات مادية في العالم الخارجي ومعيار صدق هذه الأفكار أو كذبها يكون في مدى تطابقها أو عدم تطابقها مع مقابلاتها الخارجية. لكن في نفس الوقت نوع آخر من الأفكار داخل عقولنا ليس لها مقابل مادي خارجي، إذن ما هو معيار الحكم عليها بالصدق أو بالكذب؟ أجاب بيرس بأن تلك الأفكار إذا كانت تمهد للقيام بسلوك عملي وتهدف إلى تحقيق منفعة فعلية، فإنها تكون حينئذ صادقة، وبدون ذلك تكون كاذبة.[1]

والمشكلة المركزية التي شغلت بيرس هي التوفيق بين فكر أرسطو وكانط من حيث نظرة كل واحد منهما إلى نظرية المعرفة فعلى حين يذهب "أرسطو" إلى أن العقل يكتشف في الكون نظاما كان موجود من قبل، ويقلب "كانط" هذا الوضع الأرسطي فيزعم أن النظام في معرفتنا يأتي من العقل وحده، وهنا يتقدم "بيرس" بحله الخاص للتوفيق بين الطبيعة الذاتية للفكر وبين دعوانا بأننا نعرف ما هو خارج أفكارنا وبدأ "بيرس" قاعدته البراجماتية الشهيرة فقال: "أنظر إلى الأفكار التي يمكن –تصورا– أن تكون ذات نتيجة عملية، والتي نتصور أنها آثار تترتب على الشيء الذي هو موضوع إدراكنا، فعندئذ يكون إدراكنا عن هذه الآثار هو كل إدراكنا عن الشيء" وهو يوضح قاعدته بقوله أن فكرتنا عن النصير لا تعني شيئا: "إلا ما له آثار معينة على حواسنا مباشرة كانت أو غير مباشرة".[2]

فهو يؤكد على أن: "تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر".[3]

يقول جون ديوي: "قد انبرى بيرس يعرض أصل هذا المذهب، وقال أنه ليس فكرة أمريكية بحتة كما يعتقد بعض الناس. ذلك أن إصلاح براغماتيك قد نشأ في ذهن بيرس من دراسته لكانط الذي ميز في كتابه ميتافيزيقا الأخلاق بين "براجماتيك" وبين "عملي" فالعملي عند "كانط" ينطبق على القوانين الأخلاقية التي يعدها أولية أما البراغماتيك فينطبق على قواعد الفن والصنعة التي تعتمد على الخبرة وتقبل التجربة".[4]

---

[1] سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، ص53.

[2] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص98.

[3] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، 1990، ص396.

[4] نقلا عن: أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، –جون ديوي–، ص84.

يؤكد "جون ديوي" على أن فكرة ما هو عملي وبراجماتي لم تكن نابعة من "بيرس" نفسه بل استوحاها من قراءته لكانط والذي ينطبق البراغماتيك عنده على قواعد الفن والصنعة وتعتمد هذه الأخيرة على عامل الخبرة كما أنها تقبل التجربة.

ويضيف ديوي قائلا: "ولما كان بيرس تجريبيا قد اكتسب عادات المعمل العقلية، فقد رفض أن يسمي مذهبه "المذهب العملي" كما اقترح عليه بعض أصدقاؤه –هذا ومن وجهة أنه منطقي قبل كل شيء فقد كان يهمه في التفكير الواقعي ويهتم بوجه أخص- فيما يتصل بالمنهج البراغماتي- بالفن الذي يجعل التصورات واضحة أو بوضع تعاريف كاملة ومثمرة تتلاءم مع روح الطريقة".[1]

يؤكد تشارلز بيرس على ضرورة أن يكون التفكير واقعي كما أنه يهتم بضرورة أن تكون التصورات واضحة وكاملة وكذا مثمرة أي أن يكون لها حدث محدد وواضح ويوصلنا إلى نتيجة مفيدة.

يقول ديوي: "أنه يوجد اتهامان خاطئان ينسبان إلى واضع البراغماتية الأول أنها تجعل العمل غاية الحياة والثاني أنها تخضع الفكر والنشاط العقلي لغايات خاصة من المصالح والنفع وثم يجيب عن هذا النقد بأن النظرية عند بيرس تستلزم في أساسها علاقة معينة بالعمل وبالسلوك الإنساني غير أن دور العمل متوسط، فلكي يكون أحدنا قادرا أن ينسب معنى التصورات معينة فعليه أن يكون قادرا على تطبيقها في الوجود وهذا التطبيق يكون عن طريق العمل ممكنا وتغيير الوجود الذي ينشأ عن هذا التطبيق هو الذي يكون المعنى الصحيح للتصورات".[2]

فنظرية "تشارلز **بيرس**" تعارض أي تحديد لمعنى التصورات بأداء غرض خاص أو غرض شخصي كما تعارض فكرة إخضاع الفكر لخدمة أي نفع مادي أو مصلحة محدودة.

وعلى هذا فالبراغماتية وفقا للتعديل الذي أدخله مؤسسها على هذا المصطلح لا تعدو أن تكون منهجا فلسفيا وطريقة وأسلوب في التوضيح والتحليل والبحث كما أنها نظرية في الصدق فيما يتعلق بالمعنى والاعتقاد وهي لا ترمي إلى نتائج فلسفية معينة، بقدر ما تهتم بطريقة البحث الفلسفي نفسه.[3]

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، –جون ديوي–، ص84.

[2] نفسه، ص85.

[3] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص98.

وبالرغم من تأسيس بيرس للمذهب البراغماتي في الفلسفة المعاصرة إلا أنه لم ينظم كل أفكاره بشكل منسق يقول جون ديوي: "ويرجع الفضل إلى وليام جيمس في نشر هذا المنهج وإذاعته".[1]

فالفضل في انتشار البراغماتية وازدهارها يرجع إلى "وليام جيمس"، ذلك الفيلسوف الأمريكي الذي ربط بين هذا المذهب الجديد وبين الحياة الأمريكية ربطا محكما بحيث أصبح كل منهما علامة على الآخر.

يتجه جيمس في أفكاره إلى الأشياء وإذا كان قد بدأ بعلم النفس فإنه لم يتجه في بحثه كميتافيزيقي يحب أن يطلق نفسه في البحث عن أمور سماوية روحية غامضة، ولكن كواقعي ينظر إلى الفكرة كمرآة ضرورية للحقيقة الخارجية والطبيعية. مهما كان الفكر مختلف عن المادة. والفكر مرآة أفضل بكثير مما يعتقد البعض، فهو لا يدرك ويعكس مجرد أشياء منفصلة، بل يدرك ويعكس العلاقات أو الصلات بين الأشياء فهو يرى كل شيء بالعلاقة أو القرينة.[2]

وفي سنة 1898 بدأ جيمس الحركة البراغماتية من خطاب له بعنوان "التصورات الفلسفية والنتائج العملية" وأورد ملاحظة بيرس النفسانية من الاعتقادات هي حقا قواعد العمل وليست وظيفة التفكير إلا خطوة واحدة من إنتاج عادات السلوك وأن كل فكرة لكونها في أنفسنا عن الشيء ما إنما هي في الحقيقة فكرة عن الآثار المحتملة لهذا الشيء يقول جيمس: "الامتحان النهائي عندنا لمعنى الحق هو في الحقيقة ما يمليه أو يلهمه من سلوك، وإنما يلهم ذلك السلوك لأنه ينبئ أولا عن اتجاه معين لخبرتنا يتطلب بالضبط ذلك السلوك منا، وإني أوثر التعبير عن مبدأ بيرس بأن أقول بأن المعنى الفعال لأي قضية فلسفية يمكن أن يخضع دائما لنتيجة معينة في خبرتنا العملية المستقبلة".[3]

ويؤكد جيمس على أنه حينما يستخدم لفظ عملي فإنه يعني النتائج العملية المحسوسة، الفردية، الخاصة، الفعالة في مقابل المجردة، العامة، الساكنة وما يقصده جيمس بهذا القول هو أن ما يجعل للعبارة

[1] نقلا عن: أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص84.

[2] ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعتشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988، ص617.

[3] فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص85.

"معنى" كونها ذات نتائج عملية تترتب على تنفيذها. أما إذا كانت أمامك عبارة لا تدري كيف تحولها إلى تجربة عملية تحسها بحواسك. كانت تلك العبارة بغير معنى ومن زعم أنه يفهم لها معنى كان مخدوعا.[1]

وقد اهتم جيمس بمعنى الحق. فما دام الحق حدا وله تبعا لذلك معنى بوضح معناه دون أن يشتغل بالنظر في صدق الأحكام الجزئية.[2]

وكانت النزعة الواحدية وما يترتب عليها من نتائج أخلاقية وميتافيزيقية تثير قدرا كبيرا من النفور في عقل "جيمس" وشعوره على حد سواء. فقد كان التنوع الهائل الذي يتبدى عليه الكون في مظاهره الكثيرة المتعددة أمرا تبهج له نفس "جيمس". وقد كان هذا الأخير مؤمن بضرورة التجربة الفعلية كما أنه لا يفتقر إلى "التطلعات الروحية"، فالاعتقاد بالمطلق بالنسبة إليه أمر تبرره تلك الأشواق والتطلعات الروحية.

ويفسر جيمس تاريخ الفلسفة بأنه "تصارع بين الأمزجة البشرية" إلى حد كبير، وهو يميز بين نوعين من الأمزجة "أصحاب العقول اللينة" وهم الذهنيون المثاليون، المتفائلون الدينيون، الواحديون، القطعيون و"أصحاب العقول الصلبة" وهم التجريبيون، الحسيون، الماديون، المتشائمون يؤمنون بالتعددية.[3]

ويقول جيمس بضرورة احترام هذين النوعين من الفلاسفة إلى حد معين فكل منهما يكشف عن جوانب من حقيقة الواقع أعقلها الآخر. ويقترح "جيمس" نفسه أن يتوسط بين النوعين. لكي يربط بين الولاء العلمي للوقائع الصلبة وبين الثقة القديمة في القيم البشرية من الأنواع الدينية والرومانسية. فهناك رعب صريح للغاية وشرفي العالم أكثر ويفترض أن الكون عبارة عن انسجام تام، كما لا يجب أن نستسلم للأشرار ونفقد الإيمان بالمثل العليا تماما.[4]

من هذا نرى أن البراغماتية لا تعني إلا بتوضيح المذاهب وتبسيطها لتعود بها جميعا إلى معانيها العملية ومضامينها الواقعية. ولكنها لا تقف منها موقف الحكم، فالحكم النهائي يظل دائما أمرا شخصيا ولذلك قد يصل المنهج البراغماتي بأصحابه إلى نتائج مختلفة فيما بينها غاية الاختلاف. وأصدق تشبيه للبراجماتية هو أنها

---

[1] زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، ط4، 1993، ص213.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، ص87.

[3] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص109.

[4] وليام كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص486.

بمثابة ممر طويل في فندق عظيم هذا التشبيه إلى الفيلسوف البراغماتي الإيطالي بابيني وقد نوه به جيمس في ص 54 من كتابه البراغماتية. تفتح عليه أبواب مختلفة.[1] متعددة ففي غرفة منها نجد مفكرا منكبا على دراسته في علم الجمال وفي أخرى مؤمنا مستقبلا يركع على ركبتيه وقد رفع أكف الضراعة بالدعاء إلى الله ملتمسا إليه العطف والرضا، وفي ثالثة كيميائي عاكفا على قواريره، وفي رابعة فيلسوفا سادرا في تأملاته الميتافيزيقية وفي خامسة مفكرا عمليا معنيا بالواقع ضاربا عرض الحائط بالنظرات الميتافيزيقية. ولكن سكان هذه الغرف جميعا لابد لهم من أن يخرجوا من أبواب غرفهم ويمروا في هذا المسار ولابد من أن يستخدموه في حياتهم العملية لأنه مخرجهم الوحيد. فالبراجماتية ليست نتائج مقطوعا بصحتها. بل هي موقف موجه لنا في الحياة.[2]

والنزعة البراجماتية عند "وليام جيمس" تتلخص في عبارته المشهورة "أن نستدبر الأشياء والمبادئ والمقولات والضروريات المزعومة الأولى وأن نستقبل الأشياء والثمرات والنتائج والوقائع الأخيرة".[3]

فلنطبق هذا المبدأ البراجماتي على الحق في العلوم الطبيعية تميل إلى التوحيد بين صدق حالة خاصة وبين التحقيق. وتحقيق نظرية أو تصور يقوم على ملاحظة قواعد خاصة، وأكثر النظريات الطبيعية علمية وتناسقا إنما هي مجرد "فروض" إلى أن تتحقق نتائجها بالبرهان الرياضي، أو بأي وسيلة أخرى من وسائل الاستنباط من الوقائع الملاحظة، وفي إخضاع التصورات لضبط التجربة، أي في عملية التحقيق نجد أمثلة عن الحق فإذا طبقنا هذا المنهج التجريبي وجدنا أن معنى الحق هو التحقيق أو بعبارة أخرى التحقيق هو الذي يعرف الحق. فالبراغماتية امتداد للتجريبية القديمة من هذا الفارق وهو أننا نعتمد على الظواهر اللاحقة لا السابقة في إمكانيات العمل.[4]

---

[1] محمد فتحي الشنيطي: وليم جيمس، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط1، 1975، ص79.

[2] نفسه، ص79.

[3] نقلا عن: أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص90.

[4] نفسه، ص90.

فيؤكد "جيمس" على أن الحقيقة ليست إلا ما يقودنا إلى النجاح في الحياة وقال أن المعتقدات الصحيحة هي وحدها التي تنتهي إلى تحقيق أغراضنا الفعلية. وذلك لأن الحق لا يوجد أبدا منفصلا عن الفعل أو السلوك. باعتبار أننا نفكر لنعيش وليس هناك حقيقة مطلقة.[1]

ولا وجود لفكرة حقيقية في ذاتها. إذ أن الفكرة أو المعتقد في دنيا الواقع ويعبر بالفعل عن قيمته المنصرفة فورا. ويلاحظ جيمس أن فكرتنا عن النار لا تحرق أو على حد قوله: "النار العقلية لا توقد خشبا والماء العقلي عاجز على أن يطفئ نار" ولهذا فإنه يهاجم صورنا الذهنية عن الأشياء المحسوسة ويقول أنه مهما بلغت من الوضوح والقوة فإنها لا يمكن أن تعدل الأشياء نفسها.

ويترتب على براجماتية "جيمس" أثار ميتافيزيقية، لأن مذهب قيمة النتائج يفضي بنا إلى وضع المستقبل موضع الاعتبار، والنظر إلى المستقبل هذا النظر يجعلنا نتصور العالم على أنه تطور لم ينته، أو بعبارات "جيمس" "عالم في التكوين" أو "عملية في الصيرورة" أي أنه لا يزال إلى حد ما يتشكل أنه عالم مفتوح.

ويترتب على ذلك أن العقل أو الفكر له وظيفة خالقة بناءة وأننا حين تكون الأفكار العامة ونضعها موضع العمل تخرج لنا نتائج ما كانت تنتج على نحو آخر، ولكان العالم مختلفا عما هو عليه لولا تدخل هذه الأفكار العامة. وهذا يؤيد أهمية التفكير وعمله النظري والمعرفة بازدراء أو أنه عدها مجرد وسائل لكسب الشخص أو النفع الاجتماعي. بل للعقل عنده وظيفة مبدعة لشكل العالم وتجعله معقولا، وتهبه قيمة ملازمة له.[2]

وبعد معرفة تاريخ البراغماتية في الفلسفة المعاصرة وكذا معرفة روادها جاز لنا الحديث عن أحد أهم أقطاب هذا المذهب والذي واصل ما بدأه "بيرس" و"جيمس" ألا وهو جون ديوي.

فكان جون ديوي ثالث بناة المذهب البراغماتي في أمريكا بعد تشارلز بيرس ووليام جيمس، وهو أوسعهم شهرة وأعمقهم نفوذا، وأكثرهم تعبيرا عن الروح التي تسري في القارة الجديدة، فقد أتيحت له من العوامل.[3]

---

[1] يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، ص136.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص91.

[3] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص116.

وفي نشأته وبيئته وتكوينه الشخصي ما جعله مهيئا للتعبير عن هذه الروح أصدق تعبير. ومع أنه كان امتداد لسلفيه العظيمين إلا أنه أراد أن يتميز عنهما بأن أطلق على فلسفته اسما جديدا هو مذهب الأداتية.

كانت السنوات الحاسمة في تطور ديوي الفلسفي هي الفترة من عام 1894 حتى عام 1904، عندما كان رئيسا لقسم الفلسفة في جامعة شيكاغو التي أنشأت حديثا فقد مارس تجارب واسعة في التعليم الابتدائي، وعمل كمدير لمدرسة التربية الملحقة بالجامعة. وانسلخ مبكرا في تلك الحقبة عن الهيجلية الجديدة، واكتشف المبادئ الأساسية للرؤية الفلسفية التي ناصرها ودافع عنها والتي تعرف باسم الذرائعية أو النظرية الأداتية أو المذهب العملي.[1]

المطلب الثاني: النظرية الأداتية:

قد نشأت بذور الأداتية عند جيمس. لأنه كان يعد التصورات والنظريات مجرد أدوات يمكن أن تصلح في تكوين حقائق مستقبلية بطريقة خاصة غير أنه قصر نفسه قبل كل شيء على المظاهر الأخلاقية لهذه النظرية التي كانت أساسا صالحا يستند إليه مذهب التفاؤل الأخلاقي وما ترتب عليها من آثار تختص بقيمة الحياة العاطفية ومنزلة النظم الفلسفية وبخاصة الطعن على العقلية الواحدية والمذهب المطلق في جميع صوره ولم يحاول قط أن يقيم نظرية كاملة عن صور العمليات المنطقية.[2]

وقد تبلور هذا الفكر عند "جون ديوي" حين انتقل إلى شيكاغو في أوائل أعوام النضج، ولاحظ الاختلاف بين الحياة كما رآها في هذا الإقليم الأوسط وبين الحياة كما عهدها في شرقي الولايات المتحدة، فهناك تعود على المحافظة على القديم، وإيثار السلامة والأمن وبعد عن المخاطرة والمغامرة. أما في هذا الإقليم الأوسط فقد رأى الثراء الطائل يجمعه صاحبه في مثل اللمح بالبصر، وقد يفقده بنفس الطريقة، هاهنا مغامرة ومخاطرة وجرأة وطموح، ولكن كان هذا كله ينتهي أحيانا بالإخفاق فهو في معظم الأحيان ينتهي بصاحبه إلى النجاح. إن الحياة هنا "مغامرة" كبرى لا يقين فيها لكنها تبنى على ترجيح الكسب، فقد وفد ديوي على قوم

[1] وليام كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص506.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص91.

لا يؤمنون بالجلوس الهادئ على كراسي ثابتة القوائم يدرسون نظريات لا تسمن ولا تغني. بل يؤمنون بالعمل اليدوي وبالسعي الدؤوب الذي لا يفتر لحظة عن الإنتاج والخلق.[1]

وكان الشغل الشاغل "لجون ديوي" هو تغيير القيم في المجتمعات الإنسانية ويتذرع ديوي بالمنهج العلمي لإحداث هذا التغيير في القيم الأخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها، ولهذا سمى ديوي مذهبه بالمذهب الأداتي لأنه يتخذ من الفكر أداة للعمل على نحو يحق للإنسان ما يبتغيه من تغيير في مجتمع صناعي ديمقراطي.[2]

ومن هنا تبدأ الأداتية عند جون ديوي: أنها محاولة لوضع نظرية منطقية دقيقة عن التصورات والأحكام والاستدلالات في شتى صورها بالنظر قبل كل شيء إلى التفكير كيف يعمل في تحديد النتائج المستقبلية تحديدا تجريبيا، وبعبارة أخرى تحاول الأداتية أن تضع قواعد منطقية يعترف بها عامة عن طريق استخلاصها من وظيفة العمل المتوسط والمبدعة والتي تنسب إليه، والغرض من الأداتية تكوين نظرية عن الصور العامة للتصور والاستدلال.[3] لا عن هذا الحكم أو ذاك أو هذا التصور أو ذاك في علاقته بمضمونه.

البراجماتية عند "جون ديوي" عرفت باسم مذهب الذرائع أو الذرائعية وكان ديوي متأثرا في معظم ما كتبه بفلسفة داروبن في التطور، فالعقل والجسم في رأيه عضوان تطورا في التنازع على البقاء إلى شكلها الحالي من أشكال أحط مرتبة. لقد كان بدايته لكل موضوع بداية تطورية داروينية.[4]

وهناك أثر بسيكولوجي على الأداتية فهو من طبيعة بيولوجية، ويتصل بمذهب واطسن في السلوكية. فالمخ عضو ينسق المؤثرات الحسية في سبيل إحداث استجابات ملائمة وتذهب نظرية التطور العضوية إلى أن تحليل العقل وعملياته متفق مع الحقائق البيولوجية المعروفة، فالجهاز العصبي المركزي يشغل مكانا متوسطا يلاءم بين حاجات الكائن الحي والبيئة وقد أعلن الأداتيون في ذلك الحين اعتقادهم في اتحاد مبادئ المنطق

[1] زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، ص 219-220.

[2] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص120.

[3] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص93.

[4] ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص626.

المعيارية مع عمليات التفكير الحقيقة القائمة على علم نفس بيولوجي لا علم نفس تأملي لحالات الشعور.[1] ديوي يرى أن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه لتحقيق التوافق مع البيئة المحيطة. وإذا لم يستطع تحقيق هذا التوافق فإن مصيره حتما إلى الموت، لكن ما سبيل الإنسان لتحقيق هذا التوافق؟ إنها أفكاره، فأفكار الإنسان ليست إلا الوسائل أو الذرائع التي يتلمس بها طريقة تحقيق هذا التوافق والتجربة السلوكية للإنسان في الحياة تكون ناجحة بقدر اهتداء الإنسان إلى أفكار تمثل محاور ارتكاز في البيئة وذرائع تعبد له الطريق إلى السيطرة عليها ولهذا فإن الأفكار التي يتحدث عنها ديوي ليست أفكارا مجردة وليست أحكاما منطقية نظرية كتلك التي اعتاد المناطقة أن يقدموها لنا ويربطون فيها بين موضوع عقلي ومحمول لهما في الواقع بل هي بالأحرى تكبر عن أحكام تنبع من الواقع ويكون موضوعها ومحمولها معبرين عن موقف تجريبي معين.[2]

فيؤكد "ديوي" على أن المعرفة مستمدة كلها من التجربة والتفكير ليس من طراز يختلف عن الإدراك الحسي والأفكار استباقات للإدراكات الحسية والأشياء هي كما تدركها الحواس فقط، وتوجد كما تدرك في التجربة. ووظيفة التفكير الأولى ليست بناء أفكار وصور عامة من إدراكات نتذكرها أو استنباط مواقف عامة بطريقة عامة والأفكار تولدها الظروف.[3]

ومن هنا يتضح أن وظيفة العقل ليست مجرد نسخ الأشياء الموجودة في البيئة، بل أن تأخذ في الاعتبار من العلاقات ما هو أفعل في هذه الأشياء وأصلح لها في المستقبل. فالأداتية تجعل للتفكير وظيفة وضعية، وهي إعادة تكوين الحالة الراهنة للأشياء لا مجرد معرفتها أو اتخاذ نسخة منها فالتفكير واسطة لاستجابات معقدة مع مؤثرات البيئة. وإذا طبقنا هذه النظرية البيولوجية على الأحكام المنطقية كان الموضوع هو جزء البيئة الذي يتطلب الاستجابة، والمحمول هو الاستجابة أو العادة أو الهيئة المحتملة التي لابد للمرء أن يسلكها بإزاء البيئة والرابطة تمثل الفعل العضوي والمحسوس الذي يتم به الربط بين الواقعة ودلالتها وأخيرا نجد النتيجة أو موضوع الحكم هو تعديل الموقف في الموضوع أو المحمول أي البيئة.[4]

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص92.

[2] يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، ص138.

[3] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، ص499-500.

[4] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص93.

فالفيلسوف البراجماتي الذي يصدر أحكاما عقلية شبيه بالقاضي الذي لا يصدر حكمه إلا بعد أن يكون قد اطلع على معاينة النيابة واستمع إلى أقوال الشهود وعاش جو الجريمة أو الحادثة. ومن ثم لا يجيء الحكم الذي يصدره بعد هذا معبرا عن الوقائع التي عاينها. أما الأحكام العقلية النظرية فليست في نظر ديوي إلا خطوة انتقالية تمهيدية للأحكام البرجماتية الواقعية، وما أشبه هذه الأحكام النظرية بالفروض العملية التي يلجأ إليها العالم التجريبي والتي لا تصبح قانونا إلا بعد التحقق من صحتها في المختبر.[1]

فالبرجماتي لا يطلق أحكاما من موضوع معين إلا بعد أن يعاينه ويتحرى عنه ويعيش هذا الموقف أو الموضوع، والأحكام العقلية ما هي إلا خطوة أساسية ينتقل بها البرجماتي إلى الأحكام البراجماتية والواقعية ولا يمكن الحديث عن صحة هذه الأحكام إلا بعد التأكد من صحتها. والبراجماتية نشأت في البيئة الأمريكية فهي تمجد العمل وانتهاز الفرصة والنجاح وكسب المال. وقد أثرت هذه الظروف بلا نزاع على فلسفتها ولكن إلى الحد الذي يجعل الحياة أوفق وأعظم قيمة، فالأداتية تذهب إلى أن العمل يجب أن يكون بصيرا وصادرا عن التدبر وأن الفكر يجب أن يشغل منزلة رئيسية في الحياة، وهذا هو السر في نجاح الأمريكان على غائية الفكر والمعرفة؛ وهي غائية يجب أن تتحقق في الأمور خاصة لا على وجه مجرد.

وأن يكون العقل البصير، هو المصدر دون غيره والضمان الوحيد لمستقبل سعيد.[2] والأفكار هي أدوات تنجز بها بعض النتائج المرغوب فيها، إنها تساعد على أن نعمل شيئا، أو نفعل على وجه أفضل، أو أكثر ذكاء، أو أقرب إلى النجاح، خيرا مما لو كنا نعتمد على الغريزة أو الاندفاع وحدهما يقول:

"إن الأفكار ليست أفكار حقيقية إلا إذا كانت أدوات نستعينها في حل المشاكل-والفكرة من الناحية المنطقية- ليست إدراكا شاحبا لشيء ما وليست مركبا من عدد من الإحساسات".

فديوي يؤكد على أن الأفكار لا قيمة لها لو لم تكن لها وظيفة فهي عبارة عن أدوات نستخدمها لحل المشاكل التي تواجه الإنسان ويضيف قائلا:

"أن الرجل المتوحش قد يكون قادرا على تكوين صورة من الأعمدة والأسلاك، ولكن إذا لا يعرف شيئا عن التلغراف فلن تكون لديه فكرة أو على الأقل فكرة صحيحة عن الأعمدة والأسلاك، ذلك أن الفكرة

[1] يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، ص139.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص94.

لا يمكن –عقليا– أن تنحدر بتركيبها وإنما تتخذ فقط بوظيفتها وفائدتها. وفي المواقف المربية أو غير المحددة، ما يساعدنا. على تكوين الحكم، وعلى الاستنتاج بواسطة استباق حل ممكن – هو فكرة– وليست شيئا آخر. إنها فكرة بفضل ما تفعله من إيضاح شكل أو التنسيق بين ما هو متناثر شذرات، لا بفضل تركيب طبيعي".

وليست مهمة الأفكار الانهماك في التعميمات بل الاستجابة للمواقف الناشئة عن مشاكل: وبقدر ما تكتشف عن أنها فعالة، وأدوات ناجحة في علاج هذه المشاكل فإنها تكون أوفر حظا من الحقيقة أو الصحة.[1]

إذن: من التجربة نبدأ وإلى التجربة نعود ... هذا هو ملخص نظرية البحث التي عرضها جون ديوي في كتابه العظيم: "المنطق: نظرية البحث".

فالصادق عنده هو ما يفيد، والنتائج تستخدم على أنها اعتبارات لابد منها للدلالة على صدق القضايا، شريطة أن تتناول هذه النتائج من حيث هي عمليات يمكن إجراؤها، ومن حيث هي وسائل تؤدي إلى حل المشكلة خاصة التي قد استدعت تلك الإجراءات.

وكلمة البحث عند ديوي هي ما يعارض به ما يسميه غيره من رجال المنطق بالصدق. فليس هدفه كهدف هؤلاء تحديد للشروط التي يكون بها القول الصادق صادقا. بالمعنى المنطق للصدق – بل هدفه هو تحديد للشروط التي تجعل القول "المنتج"، أداتيا وفعالا. فالبحث عنده تحويل لموقف مشكل إلى موقف محلول الأشكال، أو بعبارة أخرى ليس غايته البحث أن يصف ما هنالك، بل أن يغير ما هو قائم إلى صورة جديدة تخدم أغراض الإنسان في إزاء مشكلاته التي تعترضه.[2]

والأداة التي يستعملها الإنسان في أثناء البحث هي التفكير وهو في هذا التفكير ينتقل من خبرة إلى أخرى انتقالا متصلا لا انقطاع فيه، ولا نزاع أن هذا الانتقال يستغرق زمانا، كما يتشكل التفكير بمقتضى السياق على مجرى الأحوال. بعبارة أخرى أن عملية البحث يتدخل فيها التفكير والخبرة والسياق والاتصال، ولذلك يسمى مذهب بأي اسم من هذه العمليات مثل التجريبية نسبة إلى الخبرة. والسياقية نسبة إلى السياق

[1] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، ص500.

[2] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص120.

ومذهب العمليات العقلية نسبة إلى اتصال عمليات[1] التفكير داخل خبرة. وهذه كلها أدوات للبحث والسلوك في الحياة ومن ثم سمي مذهب الأداتية.

إن كل شيء يدخل في خبرتنا ليس من نوع واحد بالنسبة إلى ميزات المعرفة، يشعر أحد منا بعطش فيشرب بعض الماء ليطفئ ضمأه، فإن كان قد تناول الماء اعتيادا كانت الخبرة الناشئة عن هذا الموقف مختلفة عمن يتناول الماء وهو يعرف قيمته وأثره، أو النظر إلى خبرة الشخص العادي عن صورة زيتية، وخبرة الفنان الذي يفحصها، وخبرة البائع الذي يقدر قيمتها على أساس ثمنها فهناك خبرة ليس للتفكير فيها مدخل، وأخرى ينعطف فيها الشخص على نفسه ليفكر ويعرف ويحلل.

وهذا النوع الثاني هو الذي يهمنا فلسفيا، ويدعو "ديوي" إلى وجوب اعتبار الذات والموضوع متصلين، وأن الانفصال بين الشخص المفكر وبين موضوعات الفكر انفصالا تاما هو من نوع الثنائيات التي صنعها الفلاسفة وليس لها وجود في الواقع. والأداتية عند "جون ديوي". تدل على العلاقة بين الوسائل والنتائج باعتبار أن هذه العلاقة هي المقولة الأساسية لتفسير الصور المنطقية، أما العملياتية فإنها تدل على الشروط التي يكون فيها الموضوع أولا صالحا لاستخدامه كوسيلة في الوصول إلى التعديل الخارجي الذي هو الغاية من البحث.[2]

فلسفة "جون ديوي" تدعو إلى وجوب الانقلاب والثورة، فلم يكن يسعه إلا أن يكون بفلسفته داعيا إلى تغيير القيم، لأن الحياة التي أحاطت به كانت تسير بالفعل نحو هذا التغيير: "فلو استطعنا أن نحدد الأهداف استطعنا فهم فهم فلسفته، وعندئذ نرى كيف تتكامل آراؤه التي أدلى بها في ميادين مختلفة فيما بينها اختلافا بعيدا. لكنها مع ذلك تتكامل في نظرة واحدة شاملة لما عساه أن يحقق التقدم في مجتمعنا... وأول ما تعنى به[3] فلسفة ديوي من أهداف هو مشكلات الديمقراطية الأمريكية".

وليس من شك في أن أول حجر يوضع في بناء الديمقراطية هو التربية ومنها ثم كانت التربية أحد ميادينه الأساسية التي خلق فيها وابتكر.

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص102.

[2] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص502.

[3] زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط2، 1982، ص59.

وهذا المجال الذي قدم له ديوي الكثير ألا وهو التربية لم يبتعد عن محتوى مذهبه البراغماتي فالتربية كذلك لا ينبغي أن تقدم للطفل جاهزة على شكل دروس لا أهمية لها بل يجب أن تتميز بأن تكون أداتية.

وقد عرض ديوي نظريته التربوية مفصلة في كتابه "المدرسة والمجتمع" الذي صدر عام 1899. وزاد هذا العرض تفصيلا وتعميقا في كثير من كتبه التالية.

كما يجب على التربية أن تكيف نفسها وفقا لما يشعر به الطفل من مشكلات حقيقية وأن يكون هدفها تعليمه ابتكار الفروض واستخراج نتائجها وتمحيصها بالممارسة الفعلية.[1]

فيجب تدريس العلوم بطريقة عملية تأتي عن طريق الممارسة الحقيقية النافعة للحرف والمهن، إذ ينبغي أن تكون المدارس في مجتمع صناعي أشبه شيء بالمصنع الصغير وتقوم بتعليم طلابها بطريقة عملية.[2]

وهو في هذا يقول: "لا يتسنى للمدرسة أن تعد الطلبة للحياة الاجتماعية إلا متى كان النظام فيها يمثل الحياة الاجتماعية– والطريقة الوحيدة التي تعد الطالب للحياة الاجتماعية هي الاشتغال بأعمال اجتماعية، وإذ قلنا أن الطالب يستطيع أن يكون عادات اجتماعية بغير الاشتغال بأعمال اجتماعية فإن مثلنا يكون كمثل من يعلم الطفل العوم والسباحة بإتيان حركات فوق اليابسة بعيدة من نهر أو بحيرة أو بحر.[3]

فنظرية جون ديوي التربوية هي امتداد للبراغماتية والتعليم والتربية في نظر جون ديوي، يجب أن يكون مستمدا من المشاكل الواقعية التي يعيشها الطفل في المجتمع. وأكد على أن الطفل لا يمكنه التعلم علما من خلال الممارسة العملية، فالطفل لا يستطيع تعلم السباحة إذا كان في اليابسة حتى يقترب من النهر أو البحيرة أو البحر.

[1] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص122..

[2] ول ديورنت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص626.

[3] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن رحيم، دار مكتبة الحياة، لبنان، ط2، 1978، ص11.

المبحث الثالث: الخلفية المعرفية لجون ديوي:

نشأ جون ديوي محبا للقراءة والاطلاع وكان يقضي وقت فراغه في قراءة الكتب بالمكتبة العامة. وفي جامعة "فرمونت" درس ديوي اللغة اليونياني وكذا اللاتينية والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية ونظرية التطور وعلم النفس والفلسفة،[1] وفي السنة الرابعة من الدراسة الجامعية تلقى محاضرات في علم النفس وتاريخ الحضارة، ودرس "جمهورية أفلاطون" التي أثرت في نفسه إلى الأعماق فكتب في سيرته الفلسفية وهي المقالة التي تحمل عنوان "من المذهب المطلق إلى المذهب التجريبي" يقول ما فحواه "إن قراءتي المحببة هي محاورات أفلاطون وإن الفلسفة الحق هي في الرجوع إليه" فليس من الغريب أن نجد "ديوي" يستعرض أفلاطون ويستلهمه وينقده نقد الخبير.

ثم درس إلى جانب ذلك الفلسفة الإنجليزية بخاصة مذهب "بركلي". واطلع في ذلك الحين من المجلات الفلسفية على فلسفة "أوجيست كونت" فلم يتأثر بنتائجها بمقدار ما تأثر بروحها في الفلسفة الوضعية وفي ضرورة تطبيق العلم على المجتمع وأنظمته، وفي الصلة بين الظروف الاجتماعية وبين العلم والفلسفة.[2]

وقد أشرف الأستاذ "جورج سلفستر موريس" على أطروحة جون ديوي والتي كانت تحت عنوان "علم النفس عند كانط" ولقنه هذا الأخير أصول الفلسفة الهيجلية، وأكد "ديوي" نفسه على أهمية المحاضرات التي قدمها الأستاذ "موريس" وأن تعاليمه الروحية كان لها أثر كبير في تكوينه، كما اعترف بأن فلسفة هيجل قد خلقت أثرا عميقا في كل تفكيره.[3] ولكنه سرعان ما انسلخ عن الهيجلية والكشف المبادئ الأساسية للرؤية التي ناصرها ودافع عنها.[4]

---

[1] محمد عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص380.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، -جون ديوي-، ص22.

[3] يحي صالح العسكري: الغزالي وجون ديوي، ص40. (بتصرف).

[4] زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، ص160.

المطلب الأول: أثر نظرية التطور الداروينيية على جون ديوي:

ولد "جون ديوي" سنة 1859 وهي السنة نفسها التي أصدر فيها "داروين" كتابه "أصل الأنواع" الذي نستطيع أن نعده فاصلا بين عصرين ثقافيين عنصر ثقافي قبله يتصور العالم سكونيا ثابتا، وعصر ثقافي بعده يجعل حقيقة العالم تغيرا وتطورا وحركة.[1]

وقد ظهر تأثير هذه النظرية على "ديوي" من خلال تأثره بكتاب "علم الفيسيولوجيا" من تأليف الفيلسوف توماس هنري هكسلي وكان هذا الكتاب شارحا لمذهب داروين "في النشوء والارتقاء. فاستمد من دراسته له صورة قوية عن وحدة الكائن الحي، خلقت في نفسه نموذجا لنظرة أوسع للأشياء. تلك النظرة الشاملة التي تتميز بها الدراسة الفلسفية.[2]

كان "تشارلز داروين" عالما تجريبيا وتميزت دراساته بخصائص البحث العلمي في أكمل صورها، وانتهى بعد عشرين عاما من الدراسة إلى انقلاب على ما ذهب إليه رجال الدين في أن الله خلق أنواع الكائنات كلها منذ القدم في ستة أيام وانتهى إلى ما يخالف ذلك في أن الأنواع نشأت بالانتخاب الطبيعي آليا عن طريق التنازع على البقاء، ويرجع "داروين" نمو أعضاء الكائن الحي إلى ضرورة تكيفه مع بيئته لضمان الحياة الطبيعية ثم انتقلت تلك الصفات المكتسبة بالوراثة، ورأى أن الفرق بين الإنسان والحيوان هو فرق في الدرجة فقط، وليس فرق في النوع بحيث أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يعتبر أخلاقيا.[3]

هذه الآراء التي نشرها "داروين" في كتابيه "أصل الأنواع" و"تسلسل الإنسان" هزت أركان الفكر في العالم الأوربي والأمريكي. ولم يكن ديوي بعيدا عن تأثير هذه النظرية التي اكتسحت علم البيولوجيا. لأن فكر "داروين" حسب "جون ديوي" قدم صورة للتفكير عملت في آخر الأمر على تغيير كل مجال من مجالات المعرفة بعد أن وضع يده على الفلك المقدس للخلود المطلق وغزا مظاهر الحياة من أجل مبدأ الانتقال والعبور.[4]

---

[1] زكي محمود: من زاوية فلسفية، ص163.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، ص22.

[3] راكيتوف: أسس الفلسفة، ترجمة موفق الدليمي، دار التقدم، موسكو، 1989، ص275.

[4] ول ديورنت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص627.

فعلم البيولوجيا هو الذي يعتبر الإنسان جزء من مجموعة التطورات الطبيعية، ويرى أن مصطلح "طبيعي" له عدة معاني من بينها أنه يعني تلك العمليات العقلانية التي تنمو من عمليات عضوية دون أن تكون مماثلة مع الشكل الذي تشكلت عنه. مما يدل على التطور الحاصل في كل جوانب الطبيعة الإنسانية، فالنمو هو عملية تطور وتغير.

وكان من رأي ديوي وهو من أنصار "داروين" أن التفاعل يحل محل الاستدامة بوصفه المحور الرئيسي لاهتمامات أي فيلسوف كما رأى أيضا أن التغيير والنماء والتاريخ أصبحت المدخل لتفهم الكون، وبناء على فلسفة "ديوي" فإن الطبيعة نظام من المتغيرات المتداخلة بعضها في بعض وأنها تتشكل من الحوادث لا من الجوهر أو المضمون وكان هذا يعني أن التفاعل عملية شاملة وأن ما يسمى "بالأشياء" هو في حقيقته أحداث طبيعية تقوم على الحركة والتغيير وهي الأشياء التي أضفى عليها بنو البشر معان تخدم أهدافهم الخاصة.[1]

ويسقط "ديوي" تصوره هذا على المجتمعات الإنسانية إذ يعتبرها تتغير وتتطور تبعا لتغير طبيعة كل فرد فيها بما يناسب التطورات الحاصلة في الحياة الاجتماعية، فكان إصلاح المجتمع الشغل الشاغل لجون ديوي وهو الذي اعتقد أن كل من "أصل الأنواع" و"تسلسل الإنسان لداروين يمهد الطريق لإعادة بناء الفلسفة لأنه يدفعنا لأن نعيد النظر في أنفسنا باعتبارنا كائنات طبيعية ينبغي أن تتكيف مع بعضها ومع الظروف المتغيرة في البيئة من أجل البقاء.[2] فهو يرى أن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه لتحقيق التوافق مع البيئة المحيطة وإذا لم يستطع تحقيق هذا التوافق فإن مصيره حتما إلى الموت.[3]

والإنسان بالنسبة لديوي نوع من أنواع أخرى من الطاقة والنشاط وهو جزء عضوي من التفاعلات المتبادلة للأشياء المتغيرة التي خلقت الكون. وعلى هذا فإن التفاعل هو المدخل لكل من الإنسان والطبيعة وهناك تفاعل في داخل التكوين البشري كما أن هناك تفاعلات بين التكوين البشري الفردي وبيئته المادية والاجتماعية والنتيجة هي أن الفرد والمجتمع والطبيعة كانت تحدث باستمرار تغييرها الواحد في الآخر.[4] فنظرية

---

[1] بول-ف- بولر: الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من أدواردز إلى ديوي، ترجمة إسماعيل كشمري، مكتبة الأنجلو المصلية، ص279.

[2] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص119.

[3] يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، ص138.

[4] راكيتوف: الحرية والقدر في الفكر الأمريكي، ص281.

"داروين" تؤكد على نمو كل من العقل والجسم ما هو إلا نتيجة لمحاولة تكيف الكائن مع البيئة المحيطة به وهذا ما أكده جون ديوي بقوله: "وقد استخدم تفسير من التفاسير التي يؤول لها مبدأ التنازع على البقاء. ومبدأ بقاء الأصلح اللذان قال بهما داروين لتأييد هذه السياسة من الوجهة النظرية، واقترحت فئة من الكتاب وبخاصة الفيلسوف الألماني نيتشه وإن لم يجيء اقتراحه بتلك الصورة الخشنة الجافية التي تعزي إليه عادة أخلاقيات للقوة يعارضون بها الأخلاقيات المسيحية التي تدعو إلى التضحية" ويضيف قائلا: "ولما كانت الطبيعة البشرية هي العامل الذي يتفاعل دائما بشكل ما مع الأحوال البيئة في إنتاج الثقافة فقد عني الناس بالموضوع وأولوه اهتماما خاصا فيما بعد".[1]

وعلى الرغم من شيوع فكرة القوة من قبل إلا أن استخدامها كان محتشما وبعد شيوع هذه النظرية استمدت فكرة القوة مكانتها من مبدأ التنازع من أجل البقاء الذي أقرته نظرية التطور، وعرفت بعد ذلك انتشارا واسعا خاصة في الفلسفة الألمانية، هذه الفلسفة هي التي تأثر بها "ديوي" في انطلاقته الفلسفية.[2]

وما يميز "ديوي" هو قبوله لنظرية التطور قبولا تاما سافرا لا غموض فيه ولا تستر، والعقل والجسم في رأيه عضوان تطورا في التنازع على البقاء إلى شكلها الحالي من أشكال أحط مرتبة. لقد كانت بدايته لكل موضوع بداية داروينية.[3]

ويتجلى تأثير النظرية الداروينية على "ديوي" في اعتباره التفاعل الحادث في الطبيعة والذي يتميز بالاستمرار يتم إدراكه بالذكاء الذي يتم ترويضه داخلها لأنه جزء منها يتغير ويتطور تحت تأثير التفاعل معها فهو داخلها يعني التحرير والتوسع، ولا يقع خارجها مثل ما رأت النظريات المثالية في المعرفة.[4] لذلك ينبغي تفسير الأشياء لا على أساس العلة والمعلول وما فوق الطبيعة بل على أساس مكانها وعملها في البيئة. لقد كان

[1] جون ديوي: الحرية والثقافة، ترجمة أمين مرسي، مطبعة التحرير، ص22،23.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، ج1، دار الوفاء، الإسكندرية، 1999، ص130.

[3] ول ديورنت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص626.

[4] بول-ف-بولر: الحرية والقدر في الفكر الأمريكي، ص280.

"ديوي" صريحا في اتجاهه الطبيعي، واستنكر طريقة التفكير في هذا العالم بأسره بشكل أوسع. واعتبر هذا الطراز من التفكير اعتراف بالعجز على السيطرة على مجرى الأشياء.[1]

الإنسان يسعى إلى تحقيق التوافق مع البيئة وهذا التوافق لا يكون إلا بأفكار الإنسان فتعتبر بمثابة وسائل أو ذرائع التي يتلمس بها طريقة إلى تحقيق هذا التوافق. والتجربة السلوكية للإنسان في الحياة تكون ناجحة بقدر اهتداء الإنسان إلى أفكار تمثل محاور ارتكاز في البيئة وذرائع تعبد له الطريق إلى السيطرة عليها. ولهذا فالأفكار التي يتحدث عنها هي أحكام تنبع من الواقع.[2]

المطلب الثاني: أثر المدارس النفسية على فكر جون ديوي:

وتبعا لهذا دعا إلى تطبيع العقل أي جعله جزء من الطبيعة فالذكاء يعبر عن العقل لا من حيث هو حقائق ومعارف موروثة تنتشر بالتلقين والتحفيز وإنما يعبر عن تنظيم التجاوب العضوي مع المحيط، ذلك أن كل عضو هو قطعة في مجرى الأحداث –فالطفل لا يوهب الذكاء منذ الولادة ولكنه يكتسب الطبيعة العقلانية عندما يحدث التفاعل بين عقله باعتباره عنصرا طبيعيا مع ظروف البيئة وقضاياه فيكتسب المعارف والتي هي ليست نظرية بل تطورت بواسطة تجربة سلالة الجنس البشري الطويلة والشاقة، ولا يتم ذلك إلا بالتربية، وفيها يكتسب الفرد العادات والتقاليد والمعارف فحتى عمليات التفكير المنطقي مرتبطة في تطورها المستمر بما هو بيولوجي ولقد أشار ديوي إلى ذلك في كتابه "المنطق ونظرية البحث".[3]

الإنسان لا يقتصر على جانب خارجي فقط، أو الجانب الفكري فحسب، بل يتعداه إلى الجانب النفسي والأخلاقي وبنفس الطرق والمناهج على اعتبارات أن سلوك الإنسان كله استجابات لمؤثرات خارجية، وعلى هذا الأساس يمكن للتربية أن تصنع من الناس ما تشاء تبعا لما تعده من مؤثرات. ويتضح مما سبق أن ديوي: يؤكد على أن الفلسفة الأداتية وثيقة الصلة لعلم النفس السلوكي لواطسن كما يعترف بفضل الأفكار السيكولوجية التي تضمنها كتاب (مبادئ علم النفس) لوليام جيمس والذي جعله يتجه نحو فلسفته الأداتية

[1] ول ديورنت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص628.

[2] يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، ص138.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، ج1، ص131.

توجها طبيعيا وبيولوجيا، ونظرا لأهمية علم النفس في التربية عند جون ديوي أكد على ضرورة أن تكون "المدرسة مختبر لعلم النفس التطبيقي".[1]

فنظريات علم النفس الحديث كان سببا في وصول ديوي لفلسفته الوسيلة التي ميزت جميع ميادين دراسته وخاصة الميدان التربوي، مما ساعده على صياغة نظريته في التربية ومكنته من تجاوز التصورات المجربة الخاصة بها أو جعلها وثيقة الصلة بالوقائع وقابلة للتطبيق في الكثير من المواقف وأصبحت بذلك أداة تحسن حياة وتطورها.

[1] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص99.

خلاصة:

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن جون ديوي هو أحد أعظم فلاسفة القرن العشرين وأن مسيرته كانت حافلة بالانتاجات الفلسفية التربوية وهذا ما جعله يستحق لقب فيلسوف التربية. كما أنه لا يبتعد في فلسفته التربوية عن النزعة البراغماتية والتي تؤكد على ضرورة اعتماد الخبرة باعتبارها معيار التحقق وباعتبار أنها لا تحكم على العمل إلا من خلال نتائجه، وهنا ظهرت عند ديوي ما يسمى بالنزعة الأداتية أو الوسيلة لأنه يرى في التفكير وسيلة أو أداة أو آلة في حل مشكلات الناس التي يواجهونها في حياتهم الاجتماعية. ولقد تأثر جون ديوي في بداياته الأولى بأفلاطون واعتقد بأن فلسفته هي الفلسفة الحقة. كما كان لداروين بالغ الأثر في فكر ديوي وكذا بعض مدارس علم النفس وهذا ما ساهم في بناء شخصيته الفلسفية التربوية.

تمهيد:

إن جون ديوي فيلسوف تربية بالدرجة الأولى، ولقد نال شهرته بأعماله وكتبه التربوية كمرب من أعظم مربي هذا القرن، وفي هذا الفصل سنتعرف على معنى فلسفة التربية ومفهوم التربية وعلاقتها بالخبرة والهدف من التربية عند "جون ديوي" ونزعته التقدمية التي تحمل لواء التجديد في هذا المجال الفلسفي، كما سنعرج على المنهج المتبع في التربية؛ من خلال نقد المناهج التقليدية بكل تفاصيله، "فجون ديوي" لم يكتفي بآراء تربوية نظرية، بل سعى لتحقيقها على أرض الواقع من خلال منهجه وطرق تدريس جديدة؛ لعل أهمها طريقة المشروع التي اشتهر بها "ديوي" فالطريقة الصالحة في التربية في نظر ديوي هي التي تساعد على إيقاظ قوة المتعلم واستعداداته وتنمية خبرته وكذلك فإن التعلم عند "ديوي" يقوم عند وجود مشكلة لهذا فلقد شجع هذه الطريقة، لأنها تجسد الفكر والعمل، ورغم وجود بعض العقبات. كما اهتم ديوي بالمدرسة باعتبارها أحد أهم المحاور في العملية التربوية وقد حاولت شرح المدرسة في فكر ديوي وهذا من خلال الأداتية التي تعتبر الموجة الفكرية التي حملت نسق ديوي التربوي، فما هي التربية عند ديوي؟ وما هي النزعة التقدمية التي اتبعها ديوي؟ وما هو المنهج التربوي الذي اتبعه ديوي؟ وإذا كان المشروع من أهم الطرق التربوية فما هو المشروع؟ وما هي عقباته؟

المبحث الأول: فلسفة التربية

المطلب الأول: مفهوم فلسفة التربية

أولا يجب الحديث عن الفلسفة وعملية التجديد التي أقامها جون ديوي في هذا المجال، وتجديد جون ديوي كان ظاهرا في فلسفته البراغماتية والتي أسسها من تأثره ببيرس وجيمس حيث جمع بين الأصول البراغماتية التي وضعها بيرس في توجيه الفكر إلى العمل من جهة، وما أخذه من وليام جيمس في جعل الفكرة أداة من أجل كل عمل نافع من جهة أخرى. فأسس ديوي فلسفته البراغماتية القائمة بذاتها والتي تهدف إلى:

1- أن تصبح الفلسفة أداة فعالة تفسر الأحداث وتساعد الناس على حل المشكلات للتكيف.

2- أن تكون للفلسفة آثارا عملية اجتماعية تحقق تطلعات المجتمع التي يتطلبها الواقع المتغير ومن غير ذلك فلا قيمة للفلسفة مهما كانت ضجتها العقلية.

ومن هذه الأهداف التي حددها جون ديوي يمكن إبراز مفهوم الفلسفة عنده وكذا منهجه فيها، فهو يعرف الفلسفة على أنها رؤية تهدف إلى تحرير العقول من الأهواء وتخفيف حدة التوتر في الحياة الاجتماعية السائدة، ويجعل من البيئة مصدرا أداتيا لغرس المعايير الأخلاقية في النفوس البشرية. وتحصر مهمتها في قوله: "أن الوظيفة المميزة للفلسفة وأن مشكلات الفلسفة ومادتها أنما تنشأ عما يحدث من ضروب التوتر في الحياة الاجتماعية التي منها ينشأ لون بعينه من ألوان الفلسفة".[1]

ويعتقد أن الفلسفة كان لها دور كبير في ظهور الحركة العلمية كعلم الفلك والفيزياء والتاريخ يثبت أن المناقشات الفلسفية التي اكتسحت مجالات الحياة قد أنجزت عملا كبيرا إذ لولاها لما وصل العلم إلى ما هو عليه اليوم.

ويؤكد على أن كل شيء في حياة الإنسان قابل للتغيير، ولا مفر من تغيره إن دعت الضرورة إلى ذلك التغيير، فلا يجوز لشيء كائنا ما كان أن يقف حائلا في طريق الإصلاح الاجتماعي وتوفير العيش الرغد للإنسان، فلابد من تغيير قواعد الأخلاق ذاتها أن اقتضى لإصلاح هذا التغيير. وكذلك لابد من تغيير أسس

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، ص 35.

السياسة والاقتصاد والتربية وكل شيء مما قد يظن به الدوام والثبات في سبيل تغيير الحياة تغييرا يجعلها أكثر ملائمة لظروف العصر الحديث.[1]

فدعا ديوي بهذا إلى تجديد الفلسفة من خلال معالجة قضايا الحياة الإنسانية المتغيرة بالبحث على أسبابها وحقائقها وهو في هذا يقول: "فمن العمليات التي يجب أن تضطلع بها الفلسفة المجددة عملية مؤداها أن تجمع وتعرض الأسباب التي تعلل زوال ما قد كان قائما من فضل بين ما هو نظري وما هو عملي".[2]

وهنا يستند لما قدمه جيمس في تصوره لوظيفة الفلسفة والتي رآها لما تخرج عن العمل على تحرير عقول الناس من التخرب والهوى، وتعمل على توسيع مدارك الناس للعالم الذي تحيط بهم، وبهذا يظهر طموح ديوي في إزالة الثنائية التي تميزت بها الفلسفة التقليدية، وعمل على بيان وجهات النظر المختلفة والتي اختلفت فيما بينها حول طبيعة الحقيقة، في حين يرى ديوي أن الاختلاف كان له أن يكون حول الهدف الاجتماعي الذي يتم السعي لبلوغه ولو كان ذلك الاهتمام ليس منعزلا عن الإنسان في طبيعته وطبائع حياته وتاريخ مؤسساته الاجتماعية لظفرت الفلسفة بما ظفر به العلم اليوم، وبالتالي ستكون مهمة الفلسفة إذا ارتبطت بالقضايا الاجتماعية هي العمل على توضيح أفكار الناس وتبصيرهم بشأن ما يدور فعلا في عصرهم وتسعى لمعالجة ذلك التعارض في الواقع.

وماذا تكون الفلسفة إن لم تكن – كما يصفها ديوي– تعبيرا عقليا عن الصراع الداخلي الذي يسير في ثقافة العصر؟ مهمة الفلسفة هي أن تتعقب خيوط هذا الصراع إلى أصولها لتضع أمام النظر مصادر القوى التي تتجاذب عقول الناس فيسهل بذلك تشخيص الداء ووصف الدواء.[3]

---

[1] زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، ص 221.

[2] نقلا عن: البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطية، 2010، ص 18.

[3] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص 118.

وإذا تصورنا الإنسان كيف ينبغي أن يكون في ظروف العصر الجديد كانت الوسيلة لتكوينه على الصورة الجديدة هي التربية.[1]

ونبدأ بالحديث عن التربية باعتبار أنها هي الفلسفة، وأن الفلسفة هي التربية، وهذا شيء آخر خلاف فلسفة التربية، ولندع صاحب الرأي يتحدث عن ذلك في سيرته الفلسفية حيث يقول: "ومع أن كتابي المسمى الديمقراطية والتربية ظل لأعوام كثيرة الكتاب الذي عرضت فيه فلسفتي أكمل عرض فلست أعرف أحدا من النقاد الفلاسفة – المتميزين عن المعلمين– قد رجع إليه، فأثار ذلك دهشتي وتساءلت: أيعني ذلك أن الفلاسفة بوجه عام – مع أنهم هم أنفسهم معلمون عادة– لم ينظروا إلى التربية نظرة فيها من الجد ما يجعلهم يسلمون بأن أي شخص عاقل قد يرى من الممكن أن التفلسف يجب أن يدور حول التربية باعتبارها أنها أقصى اهتمام إنساني يتركز معه علاوة على ذلك مشكلات أخرى كونية وأخلاقية ومنطقية".[2]

فالتربية هي أهم مجال في الفلسفة بالنسبة لجون ديوي لأنها بها يمكن تغيير المجتمع فما هي التربية؟

مفهوم التربية

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: "ربا يربو بمعنى زاد ونما" وفي القرآن الكريم قال تعالى: "وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ".[3]

[1] زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، ص 221.

[2] نقلا عن: أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، جون ديوي، ص 35.

[3] القرآن الكريم: سورة الحج، الآية 05.

أي نمت وزادت، وقال تعالى: "قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ"[1] وقوله أيضا: "وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"[2] وقال عزوجل: "وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ".[3]

وهي كلها إشارات إلى المعنى اللغوي للتربية وتعني الزيادة والنمو المطرد واستخراج شيء كامن أو مستتر وزيادته بالرعاية والعناية.[4]

وقال الأصمعي: ربوت في بني فلان، أربو: نشأت فيهم، وربيت فلان أربيته تربية وتربيته وريبته وربيته بمعنى واحد.

ويشير المدلول الثاني إلى أنها جاءت من الفعل "يربي"، على وزن يخفي ومعناه النشأة والترعرع، القول الأعرابي (فمن يملك سائلا عني فإنني: بمكة منزلي وبها ربيت) وأما المدلول الثالث فيدل على أن لفظ التربية جاء من الفعل "يرب" وتعني أصلحه وتولى أمره ورعاه، ولهذا فمدلولها اللغوي في اللغة العربية يظهر أنها تتمحور حول النشأة والرعاية والإصلاح.

وتفيد كلمة التربية عند العرب قديما السياسة والقيادة والتنمية، وكان فلسفة العرب يسمون هذا الفن سياسة كما هو معروف عند ابن سينا مثلا في رسالته: "سياسة الرجل أهله وولده" وكانوا يقولون عن الذي ينشئ الولد ويرعاه المؤدب والمهذب والمربي، والمعلم غير أن لفظة المؤدب أشيع لأنها تفيد الرياضة والسياسة وتدل على العلم والأخلاق معا، وبناء على ذلك يكون في معنى "تربية" قولنا تربية الكائن البشري إنماؤه وترقيته ليبلغ نضجه بشكل متكامل دون إغفال لأي جانب من جوانب شخصيته.

---

[1] القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية 17.

[2] القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 23.

[3] القرآن الكريم، سورة الروم، الآية 39.

[4] عبد الله قلي، فضيلة حناش: التربية العامة، سند للتكوين المتخصص، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر، 2009، ص 08.

وعليه فإن ما تضمنته المعاني اللغوية من حيث أنها النمو والزيادة والرعاية لا تختلف عما يشير إليه معناها عند جون ديوي في اعتبارها أنها هي النمو والزيادة فيه.

أما في اللغة الأجنبية الفرنسية والإنجليزية خاصة فإن التربية Education لا تخرج أيضا عن المعنى الذي رسمه لها "ديوي": إذ تعني القيادة أو التعليم كما تعني التلقين، وهنا يظهر التشابه الكبير مع المدلول اللغوي الإنجليزي إذ تعني في اللغة الإنجليزية النمو والقيادة.[1]

المدلول الاصطلاحي للتربية

التربية في الفرنسية Education، في الإنجليزية Education, Culture، في اللاتينية Educatice.

التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، تقول ربيت الولد، إذا قويت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه، حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة، وتقول تربي الرجل إذا أحكمته التجارب ونشأ نفسه بنفسه، ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادرا على مؤالفة الطبيعة يجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه، وإسعاد الناس، وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها.[2]

ويقدم لنا لالاند تعريفا للتربية في موسوعته الفلسفية ويؤكد على أنها مسار يقوم على تطور وظيفة أو عدة وظائف، تطورا تدريجيا بالدُّربة وعلى تجريدها وإتقانها. وهي ذات معنيين معنى أعم، والتربية المحددة بهذا النحو يمكنها أن تنشأ من عمل الآخر أو من عمل الكائن ذاته الذي يكتسبه وبنحو خاص هي تهذيب الشبان، أو التربية سلسلة عملية إجرائية يدرب بها الراشدون الصغار من جنسهم ويشجعون لديهم نمو بعض النزاعات وبعض العادات عندما تستعمل الكلمة بمفردها تقال في الأغلب على تربية الأطفال من الجنس البشري. غير أن المعنى الذي قدمه ديوي للتربية كان نتيجة تفحصه لكل المفاهيم التي عرفها هذا المصطلح وكذا

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 32.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، التربية، ص 266.

أهم النظريات التي تعلقت به عبر التاريخ، وللوصول إلى ذلك المعنى فإنه من الأجدر تتبع تاريخ النظريات التربوية خاصة تلك التي تأثر بها ديوي، ساء كان لها ناقدا أو مثمنا.[1]

المطلب الثاني: تطور مفهوم التربية عبر العصور

1- التربية في العصر اليوناني

لم يكن ديوي أول من جعل الفلسفة هي التربية فقد كان سقراط شيخ الفلاسفة معلما للشباب، وكتب أفلاطون الجمهورية وبسط فيها نظاما للتربية توجه بالفلسفة،[2] ولم يشهد التاريخ فيلسوفا ومربيا قبل أفلاطون أنشأ فلسفة جامعة ونظاما شاملا لنواحي الفكر التربوي وجوانب الفكر عامة. إذ كان كل من سبقه ضيق الأفق محدود النظر، إذ تناول بالبحث جانبا فاتته الجوانب الأخرى، ولما أتى أفلاطون فأحال البصر فيما أنتج الفكر من قبله.[3]

وقد وضع أفلاطون نظامه التربوي والتعليمي بقصد المحافظة على كيان المجتمع المثالي الذي رسمه في جمهوريته... ولذا كان نظام أفلاطون التربوي نظاما محافظا. والمغزى التربوي هنا هو أن أي نظام اجتماعي لابد أن يرتبط بالنظام التربوي بأهداف معينة لهذا النظام التربوي، وقد أشار أفلاطون إلى أن هذه الجمهورية المثالية لا يمكن أن تستقر إلا إذا وجد لها نظام تربوي يحافظ على طبيعتها وتراثها.[4]

والتربية عنده تقوم على إعداد الجسم والروح معا لبلوغ الجمال والكمال ولهذا الأساس ركز أفلاطون على تنمية الذوق الجمالي لدى الطفل عن طريق التربية الموسيقية والبدنية، وبهذا يرى أفلاطون أن العملية متكاملة بين الرياضة والموسيقى...

---

[1] أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، التربية، ص 323.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر التربوي، جون ديوي، ص 35.

[3] سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، دار الإسكندرية، القاهرة، 1995، ص 140.

[4] سيد إبراهيم الجيار، دراسات في تاريخ الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، ط1، 1974، ص 78.

كما رأى أفلاطون أن للفرد ثلاث قزى هي: قوة عاقلة وفضيلتها الحكمة، قوة عصبية وفضيلتها الشجاعة، والقوة الشهوانية وفضيلتها العفة. ولكي تكون التربية سليمة يجب أن تنسجم هذه القوى فيما بينها انسجاما كليا وتسير في طريق واحد لا في طرق متفرقة، كما آمن أيضا بأن هذه التربية هي الكفيلة بالوصول إلى مجتمع عادل يلتزم فيه كل فرد بطبقته التي يعيش فيها. وعليه فالتربية الأفلاطونية مستمدة من نظريته في التربية.[1]

أما أرسطو فطريقته موضوعية علمية بعكس طريقة أفلاطون الفلسفية والتأملية، فهو يبحث عن الحقيقة أولا وقبل كل شيء في حقائق الطبيعة الموضوعية الواقعية، وهو يرى أن الغرض من التربية هو حمل الفرد على تعلم كل ما هو مفيد وضروري في الحياة لتحقيق السعادة لذلك دعا إلى إعداد العقل لاكتساب العلم.

وقد أخذ ديوي عن اليونانيين في الفلسفة أمورا، ورفض أمورا أخرى، أخذ عنهم روح الفلسفة واتجاهها إلى البحث في الأمور الإنسانية، ومحاولة الرقي بالمجتمع عن طريق التربية والجرأة في مواجهة التقاليد الجامدة التي لا تساير الزمن.[2]

ولكنه تحول فيما بعد إلى خصم عنيد للفلسفة اليونانية وانتقدها أشد انتقاد.

2- التربية في العصر الوسيط

التربية في العصور الوسطى لا تخرج عن جانب أو الطابع الإيماني لدى المسيحيين والمسلمين.

كانت المشكلة العقلية الأساسية في العصور الوسطى هي محاولة التوفيق بين الفكرة الدينية الأساسية التي تتبناها الكنيسة، مع الأفكار المدنية الواسعة في اختلافاتها.[3]

---

[1] محمد عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص ص 74- 75.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، دون ديوي، ص 36.

[3] سيد إبراهيم الجبار: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص 78.

وقد أتت المسيحية واستطاعت أن تهب للتربية معنى جديدا فجعلت هدفها الأول تعلم المذهب المسيحي والتمرس بطقوس الكنسية وأحلت هذه الأمور محل العنصر الفكري، كما أشاعت روح الخضوع والنظام القاسي في التربية الجسمية والأدبية.[1]

فبرزت في الفكر المسيحي المدارس الدينية التي تهدف إلى إصلاح المجتمع من الفساد الوثني من خلال تعليم الناس للتعاليم الدينية القائمة على رفض الأرستقراطية والتركيز على التربية الأخلاقية للوصول إلى الحياة المثالية الراقية "ويشيد جميع المؤرخين أنه خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ المسيحية كانت الحياة بريئة لا يفسدها الطمع ولا يشوبها الدنس وقد كانت هذه المثالية الراقية للحياة الخلقية مفروضة على كل عضو من أعضاء الكنيسة.[2]

وهكذا غدت التربية نظاما قاسيا يهيئ لحياة مقبلة تنظر إلى كل ما يتصل بأمور هذه الحياة الدنيا نظرة احتقار وازدراء وإلى كل ما ينتسب إلى هذا العالم على أنه شر كبير. وتعد كل عناية بنمو الشخصية الفردية ويتعهد الغرض البديعي أو النشاط الفكري خطيئة كبيرة، وبهذا زال العنصر الفكري من التربية خلال الفترة التي امتدت من القرن الثالث عشر، وحتى عندما أدخل هذا العنصر من جديد، بعد هذا القرن ظل تحت سيطرة فكرة النظام والخضوع، وبهذا ساد مفهوم للتربية مناقض للتربية الحرة الفردية التي قال بها اليونان.[3]

وقد عكفت في البداية المدارس الديرية (الرهبانية) على تحقيق التربية حيث كان لآباء الكنيسة الدور الأكبر في بروز الفكر المدرسي في القرون الوسطى ونمت تدريجيا وبلغت أوجها، وامتد تأثيرها إلى القرن السابع عشر، حتى أصبحت تدرس في الجامعات الكبرى في إنجلترا وإيطاليا وفرنسا، وأما المدارس البلاطية فضمت اللاهوتيين والعلمانيين على حد سواء وأشهرها مدرسة شارلمان والتي تدرس الفنون العقلية وتحتوي على الخطابة

[1] عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم، بيروت، ط5، 1984، ص 104.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 36.

[3] عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، ص 104.

والجدل والهندسة والفلك والموسيقى وتهتم بتحصيل المعارف القديمة بما فيها الفلسفة، واستمرت طريقة تدريس الفنون العقلية مرتبطة بتلك المدارس حتى ما بعد القرون الوسطى بل وبقيت إلى القرون المتأخرة.[1]

وقد قامت المسيحية بعقائدها وبروح الإحسان والمحبة عناصر جديدة بدت قادرة على رفع مستوى التربية الخلقية.[2]

وكان الهدف التربوي من تدريس اللاهوت في جل المدارس المسيحية هو معالجة الجانب الخلقي، لكن حدث التغير على الموضوعات التربوية في المدرسة المسيحية التي بدأت بالتعليم الديني الذي يخص التعاليم والشعائر المرتبطة بالدين المسيحي ثم انتقلت إلى العلوم الفكرية والاعتماد على التدريب الفكري في منتصف القرون الوسطى وأواخرها مما يدل على التغير في الهدف التربوي من الهدف الروحي إلى الهدف العقلاني.[3]

3- التربية الإسلامية

أما التربية عند المسلمين فلم يكن الهدف منها دنيويا محض، ولم يكن دينيا بحتا، وإنما كان غرضهم دينيا دنيويا معا، وكانوا يرمون إلى إعداد المرء لعملي الدنيا والآخرة، كما يسعى إلى التكامل في التربية بين الروح والجسد.

وهذا يظهر في قوله عزوجل: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا"[4] وفي الحديث الشريف: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا".[5]

كما ترتكز التربية في الإسلام على الخبرة لأن حياة المسلم كلها خبرات مستمرة تهدف إلى صلاح المسلم وسعادته، وهي تقوم على التفاعل والنشاط الإنساني في المجتمع.

---

[1] علي زيعور: الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص 47.

[2] عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، ص 104.

[3] علي زيعور: الفلسفة في أوربا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، ص 48.

[4] القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 77.

[5] عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، ص 104.

والحديث على الخبرة يقتضي الحديث علن التفكير الذي يعد ركيزة هامة في التربية الإسلامية، فالإيمان الصادق يقوم على التفكير لا التقليد لأن الإسلام جاء محررا للعقول، وساعيا إلى جعل الإنسان ساميا فوق جميع المخلوقات وهذا لا لشيء سوى أنه يتميز عن غيره بالقدرة على التفكير أي كونه عاقل.[1]

ولهذا يعد جوهر الفلسفة والتربية الإسلامية ينبع من حقيقة هامة وهي أن الإسلام ليس مجرد شريعة ودين وإنما هو فلسفة كاملة وطريقة حياة شاملة، فقد ظهر الإسلام يدعو إلى أسلوب حياة وطريقة حياة جديدة، وبالطبع لم ينبع الإسلام في فراغ وإنما قام وسط ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية معينة سواء أكان ذلك داخل الجزيرة العربية أو خارجها.[2]

ومن أجل تحقيق الهدف التربوي ذهب العرب أيام الدولة الإسلامية إلى التزيد من أمور كثيرة، فيها إصلاح دينهم ودنياهم، فعنوا بدراسة علوم الدين والشريعة كما عنوا بدراسة اللسان والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك وغيرها.[3]

هذا وتتميز الأهداف التربوية في الإسلام بالتكامل والمرونة وقابلية التحقيق، وتتنوع بين اجتماعية وروحية وجسمية ودينية وخلقية وغيرها، فهي تعتني بجميع جوانب الطبيعة البشرية.

أما من حيث المنهج في التربية الإسلامية فإن أسسه متعددة بين النفسية والفلسفية بحيث تؤكد الفلسفة الإسلامية على التكامل بين الجوانب الطبيعية في الإنسان، والتفاعل بينها وبين الظروف يقتضي تفعيل التفكير والعمل بحدوث التغير الهادف والبناء. هذه الأمور يجب مراعاتها في بناء كل منهج تربوي، بالإضافة إلى مراعاة الجانب النفسي والمتمثل في الاهتمام بالميولات والقدرات التي يتمتع بها الطفل.[4]

---

[1] محروس سيد موسى: التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف، القاهرة، 1988، ص 36.

[2] سيد إبراهيم الجبار: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص ص 136- 137.

[3] عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، ص 143.

[4] محروس سيد مرسي: التربية والطبيعة الإنسانية، ص ص 274- 275.

والتاريخ الإسلامي يقدم نماذجا عن المفكرين المسلمين الذين أولو اهتماما خاصا بالتربية ومن بينهم أبو حامد الغزالي.

وكتب الغزالي في شؤون التربية في عدد من مؤلفاته على أن أهم ما جاء في هذه النواحي جاء في كتاب "فاتحة الإسلام" وكتاب "أيها الولد" وكتاب "أحياء علوم الدين". وقد رتب الغزالي المنهج الدراسي تبعا لمراتب العلوم عنده وهي علوم مذموم قليلها وكثيرها، وهذه لا يرجى نفع منها في الدنيا والآخرة كعلوم السحر والتنجيم وكشف الطالع.[1]

والعلوم الثانية هي علوم محمود قليلها وكثيرها مثل العلوم الدينية والعبادات وهذه تؤدي إلى تطهير النفس والسمو بها عن الرذائل والشرور، وتقرب الإنسان من ربه.

ويقسم الغزالي العلوم من حيث أهميتها إلى قسمين وهي فروض العين أي العلوم المفروضة معرفتها على كل مسلم مثل علوم الدين وعلى رأسها القرآن الكريم، والعلوم المتصلة به، والآخر هو فروض الكفاية وهي العلوم التي تحتاج إليها في تسيير أمور الدنيا مثل علوم الحساب والطب وبعض الصناعات.

أما المعرفة فهي معرفة عامة مشتركة وتعتمد هذه المعرفة على الخبرة غير المنتظمة وتستند إلى مثير خارجي أو سلطة خارجية وهناك أيضا معرفة علمية ومعرفة قائمة على الحدس.[2]

وقد اهتم بتدريس تلك العلوم لتربية الفرد على التعاليم الخلقية والدينية وكذا ما يرتبط بضروريات المجتمع.

وأما ابن خلدون فقد توخى خطوات الغزالي في التأكيد على أهمية تعليم العلوم الشرعية اتي تنمي الجانب الروحي في الإنسان وتساعده على أموره الأخروية، إلا أنه يضع لكل علم حدوده ولا يلغي دور العقل في تحصيل بعض العلوم.[3]

---

[1] محمد عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص 134.

[2] سيد أبراهيم الجيار: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص ص 151- 152.

[3] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 37.

ويرى ابن خلدون أن العلم والتعلم طبيعي في العمران البشري، لأن الإنسان يتميز عن الحيوان بالفكر، لذا يبين مكانة التعليم فيشير إلى أنه لابد للعلم من التعلم وأن التعليم للعلم من جملة الصنائع: "ذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه أنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا، وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي".[1]

ويرى ابن خلدون أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين وهي علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه والكلام والطبيعات والإلهيات من الفلسفة والعلوم وسيلة آلية لتلك العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات، وكالمنطق للفلسفة، وربما كانت آلة لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرين.

ويشير االبن خلدون إلى الطرائق المتبعة في التعليم وإلى الطرائق الواجب اتباعها وأهم المبادئ التي يضعها في هذا المجال هي التدرج من السهل إلى الصعب، فهو يقوم بتلقين العلوم للمتعلمين شيئا فشيئا، ويلح على ضرورة الاعتماد في أول الأمر على الأمثلة الحسية والانتقال من المحسوس إلى المجرد، ذلك أن المبتدئ في أول أمره ضعيف الفهم قليل الإدراك ولا يعينه على فهم ما يلقى عليه من أمثلة كما يجب على المعلم أن لا يأتي للغايات في البدايات بل يبدأ بالجزئيات وينتقل منها إلى الكليات، فيلقي بالأمثلة الكافية ثم ينتقل منها إلى التعاريف والقواعد كما يجب على العلم أن لا يطول على المتعلم في الفن الواحد، وأن يخلط على المتعلم علمان معا.

ويظهر هنا أن ابن خلدون قد سبق رجال التربية المحدثين في تأكيده على قدرات المتعلمين واهتماماتهم وكذا تأكيده على الممارسة الفعلية كطريقة من طرق التعلم دون التركيز على الجانب النظري، وهذا هو جوهر التربية التقدمية عند جون ديوي.[2]

[1] عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، ص 247.

[2] نفسه، ص 250.

4- التربية في العصر الحديث

أول ما يجلب نظر الباحث في الصفات العامة للتربية في العصر الحديث هو أن الروح العلمانية بدأت تظفر فيه على روح الكنيسة.

وفي ظل الحديث عن هذا التغيير في مجال التربية وجب الحديث على أهم النظريات التربوية في هذا العصر والتي كان لها التأثير على النظريات التربوية اللاحقة.

ومن بين هؤلاء الفلاسفة جون لوك (1632-1704م) الذي نشر كتابه "آراء في التربية" عام 1693م، وكان يهدف من ورائه إلى الدفاع عن حرية الفرد ولكن من الناحية الفكرية، فطالب فيه باستقلال التعليم عن الكنيسة، بل عن الحكومة أيضا، ولذا يشترط لوك أن يكون التعليم خاصا في المنازل بدلا من المدارس.[1]

والتربية الجيدة مسؤولية الوالدين وعليم أن يقوموا بها على أحسن وجه، وهذا قصد أن يغير من الطريقة الروتينية القديمة، والتي تحتم على التلاميذ قراءة وكتابة النثر والشعر بالأفكار المجردة الموجودة في المنطق أو الميتافيزيقا، والأمر يتطلب مراعاة التصورات والأفكار والعادات ولما تمت هذه الإمكانيات للمربين أخذ المسلك السليم ولتمكين المتعلمين من نفس المنزلة احتذاء حذو النماذج الأولى في أسرع وقت.[2]

والأهداف الأساسية في التربية هي الفضيلة، والحكمة والتربية والتعليم... فالفضيلة ذات أهمية أساسية وكما يمكن للمرء أن يتوقع من آراء لوك في الاطلاق، فإن أول شيء يجب فعله هو أن يبعث في الطفل حب الله وتبجيله، ويعلمه الصلاة، ويجب أن يوجهه إلى تكوين عادة الصدق باستمرار في كل مناسبة، وتأتي الحكمة مع سنوات النضج، غير أنه يمكن تعليم الطفل مواجهة الحقائق، والتفكير المستقيم، وعدم الاقتناع حتى يحصل

[1] محمد عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص 243.

[2] عبد الحكيم كرام: محاضرات في تاريخ التربية، وثيقة مقدمة للدعم البيداغوجي للطلبة، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، 2005، ص 57.

على تفسيرات صحيحة للأشياء التي يكون في إمكانه فهمها. والمبدأ الجوهري الذي يكون أساسا للتربية هو: "عدم النظر بمهانة واحتقار إلى ذواتنا، وعدم النظر بمهانة إلى الآخرين".[1]

كما يجب أن يكون تعليم الطفل عن طريق الفعل والممارسة. والتربية عند لوك جاءت متماشية والطابع التجريبي الإنجليزي.

كما يحتل جان جاك روسو (1712- 1778م) مركز الريادة في الاهتمام بالتربية والتي اتخذها منهجا وطريقة لتحقيق فلسفته الطبيعية، وقد جاءت آراء روسو التربوية في كتابه الخالد "إيميل" وفي مستهل هذا الكتاب يضع روسو المبدأ الأساسي الذي يؤمن به حين يقول: "كل من خرج من بين يدي خالق الأشياء حسن خير، وكل شيء يفسد بين يدي الناس".[2]

فيؤكد على أن كل شيء يصنعه خالق البرايا حسن، والإنسان هو الذي يتدخل في صنع الطبيعة فيشوه ويسمح ويخلط ويبتز، حتى تلك النظم الاجتماعية التي يضعها كالسلطة والقدوة هي قيود للطبيعة.[3]

وهو يؤكد على أن الإنسان يملك طبيعة حسنة رغم امتلاكه للطبيعة الجسمانية الشهوانية المنحطة، فهو يقابل بين نوعين من الميول، بعضها يتميز بالأنانية ويدفعه إلى التضحية في سبيل ذاته وبعضها الآخر يصدر عن الشفقة وهي التي تدفعه إلى التحرر والرغبة في ممارسة العدالة والإصلاح.[4]

كما يؤكد روسو على أن للتربية ثلاث مصادر أولها يكون من الطبيعة وتتمثل في نشوء قدراتنا وأعضائنا نشوء باطنيا، وتربية من الناس تتمثل في ما نتعلمه من إعمال هذا النشوء، وتربية من الأشياء تتمثل فيما نكتسبه بتجربتنا الخاصة مما يحيط بنا.

---

[1] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 179.

[2] عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، ص 378.

[3] عبد الحكيم كرام: محاضرات في تاريخ التربية، ص 63.

[4] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 38.

والتلميذ الذي تتباين فيه دروس هذه المصادر الثلاثة يكون سيء التهذيب ولن يكون أبدا منسجما مع ذاته، ورغم اعتراف روسو بهيمنة تربية الناس إلا أنه يدعو إلى ضرورة تضافر التربيات الثلاث، ويؤمن بأن خلق الرجل الطبيعي يتطلب العمل على عزل الإنسان عن كل ما هو مستحدث عن طبيعته لأنها مصدر سلوكاته السلبية الدخيلة.[1]

ويقدم الوسيلة المثلى لتحقيق التربية الطبيعية وهي إتباع الميول والاتجاهات الفطرية الطبيعية التي توجد لدى المتعلم، وقد اعتبر روسو أن مسايرة هذه الاتجاهات هو أفضل بكثير من مجرد المحاكاة والتقليد لما يدور في المجتمع.

فالتربية التي يدعو إليها تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي لأنه لم يكن يثق في كل ما يأتي من المجتمع لاعتباره قيدا أو تسلطا على أفراده ولهذا عمل على أن تتيح التربية الحديثة الحرية للأطفال وتراعي ميولاتهم بما يحقق الانسجام مع الطبيعة الإنسانية الخيرة، هذا الذي جعل نظرياته التربوية تؤثر بشكل واضح في كل فلسفات التربية اللاحقة.[2]

ويرى هيجل أن هدف التربية هو تحقيق الكمال المطلق، فركزت على النمو الكامل للفرد وأكدت على الالتزام بالنظام المدرسي لأن تحقيق هدف التربية يكون بالاحترام بين التلاميذ والمربين والقيام بالأعمال المنوطة بهم وخارج النظام المدرسي يجب أن يكون المتعلمين أحرار ليعرفوا أن الطرق أفضل للأخذ بها، كما نجد نظرية فروبل والتي ترتكز على التربية باعتبارها انكشاف لقوى الأطفال والتي أشاد بها ديوي وأكد ما قام به فروبل في اهتمامه بالاستعدادات الطبيعية للطفل وحثه الناس على دراستها فكانت هذه الالتفاتة التربوية في نظر ديوي من أهم النظريات في تاريخ التربية والتي أسهمت في انتشار فكرة النمو والاعتراف بها.[3]

كل هذه النماذج المستقاة من النظريات التربوية في العصر الحديث تمثل بحق الجسر الذي نقل التربية من التصور الكلاسيكي القديم إلى التصور الجديد، والذي أنتج ما يعرف بالتربية التقدمية وما تضمنته هذه

---

[1] عبد الحكيم كرام: محاضرات في تاريخ التربية، ص 63.

[2] سيد إبراهيم الجيار: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص ص 197- 198.

[3] عبد الحكيم كرام: محاضرات في تاريخ التربية، ص 63.

الأخيرة من أفكار تربوية هي نتاج فلسفة التربية عند جون ديوي، وخلاصة كل ما اطلع عليه من جهود المربين وما حوته نظرياتهم ووقفته المتميزة، منها ليقدم لنا تصورا جديدا يتماشى والتطور العلمي، هذا التصور الجديد في المفاهيم والطرق يثري الميدان التربوي ثراء فكريا ومعرفيا ومنهجيا، ويبرز التنوع بين التربية التقليدية والتقدمية والتي من خلالها رفض جون ديوي التربية التسلطية القديمة التي تجعل الأطفال متلقين للمعارف فحسب، إذ أراد ديوي أن يقدم مفهوما جديدا لها يتناسب مع الطبيعة البشرية وكذا الطابع المتغير للواقع الاجتماعي، فقد استطاع جون ديوي أن يبرهن على إفلاس التربية القديمة ويبرهن على عدم صلاحها للجيل الحاضر المتميز بمشاكل جديدة لم يصادفها آباؤنا ولا أجدادنا، فهي تربية كان قوامها حشو الذهن بطائفة من المعلومات المدونة بالكتب والأسفار وتلقين الطالب حول المسائل بغية النجاح في الامتحان، ومن هنا أراد ديوي أن يقدم مفهوما جديدا للتربية.[1]

فما هو هذا المفهوم يا ترى؟

يرى ديوي أن التربية فلسفة وعلم وفن، وقد بحث ديوي في التربية من هذه الجهات الثلاث، وصنف في تجلية وجهة نظره من المقالات والكتب الشيء الكثير، فضلا عن إنشاء "المدرسة العلمية" ليجرب فيها نظرياته ويختبر صحتها.

يعتقد ديوي أن التربية تتسم بالطابع الاجتماعي فهي نتاج التفاعل بين الغرائز والميولات الفردية والظروف الاجتماعية الراهنة وتبدأ بالمشاركة الفعالة للفرد في الشعور الاجتماعي مما يجعل منها عملية حياة وتجديد اجتماعي، ولهذا كان مفهوم التربية عنده يتمحور حول الخبرة والتي تنتقل بالتربية من جيل إلى جيل بصورة مستمرة ونامية وبطريقة ديمقراطية وعلمية، وفي هذا يقول: "إن التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة"[2] فهي عملية نمو وحياة وتجديد للخبرة تتم في وجود ديمقراطي يضمن تفاعلها اجتماعيا ويساعد على النمو المستمر. إنها السبيل إلى التقدم الاجتماعي وأساس الإصلاح الذي يرجوه أو كما قال: "إنني أعتقد

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 38.

[2] نفسه، ص 39.

أخيرا أن التربية ينبغي أن يكون مفهومها في آذان الناس هو أنها علمية، إعادة بناء الخبرات من جديد وبصفة دائمة مستمرة وأن هدفها الذي تنشد تحقيقه إنما هما في الحقيقة شيء واحد".[1]

وتتلخص خصائص التربية التقدمية عند جون ديوي فيما يلي:

1- أن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة.

2- تتم هذه التربية لا شعوريا عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد في المجتمع وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى جيل، كما أنها استمرارية.

3- التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى، فالتربية ثمرة علمين هامين هما علم النفس وعلم الاجتماع.

4- كما أنها عملية حياة تخالف الرأي التقليدي في كونها عملية تهدف إلى إعداد الطفل للمستقبل.

5- إن هدفها هو استمرار النمو والمزيد في كل مرحلة لأن التربية التي لا تراعي ذلك لا يمكنها أن تنشئ مجتمعا جديدا.

6- تعتبر التربية الجديدة المعارف التعلمية ليست غايات وإنما هي وسائل للنمو ودالة عليها.

7- عن طريقها يتم اكتساب المفاهيم الحقيقية بتنمية الذكاء وبالتالي تنمية شخصية الطفل بمستوياتها الأدواتية والوجدانية والحركية.

8- تراعي القيم في تنمية الوجدان وتركز على المهارات العلمية المختلفة.

وبناء على تلك الخصائص يتضح مفهوم التربية التقدمية التي يتحدث عنها جون ديوي فهي تمثل العملية التي يتم بها إحداث التغير في الحياة وعن طريقها يتحقق ما ينتجه التفكير الفلسفي فهي بحق محك اختبار الأفكار الفلسفية.[2]

---

[1] نقلا عن: أحمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ص 37.

[2] نفسه، ص 38.

المطلب الثالث: فلسفة التربية عند جون ديوي

وتبدو معالم الترابط بين الفلسفة والتربية التي يسعى إليها جون ديوي من خلال دعوته إلى تقريب الفلسفة من الواقع حتى تعين الفرد على فهم مشاكله الاجتماعية وتساعده على تجاوزها "وتغدو من فورها هذا صوغا صريحا لمصالح الحياة المختلفة وشرحا لوجود النظر والأساليب التي تكفل إيجاد التوازن المجرد بين هذه المصالح".

وهكذا يبرز الترابط الوثيق بين النشاط الفلسفي النظري والنشاط التربوي العملي. لقد جعل ديوي مفتاح الفلسفة هو التجربة لأن الحياة متغيرة ومتطورة، حيث يبدأ من الشك الذي يطمح إلى تحويل وضعية غير منظمة وتتصف بالفوضى إلى وضعية واضحة ومتجانسة ولا يتحقق ذلك إلا بعمل تربوي يقوم على تحويل تلك الافتراضات الفكرية إلى حلول وضعية مما يحدث تغير الأوضاع على الفرد والمجتمع.[1]

وبناء على ذلك، تكون مشكلات التربية ذات طابع فلسفي عام ولا تستطيع النظريات والمناهج التربوية أن تتأسس وتنجح من دون النظر إلى المشكلات الفلسفية في الحياة، ذلك أن التربية التقدمية هي الحياة ذاتها، كما هي عملية اجتماعية وتكشف عن الواقع وتعمل على تبديله وتغييره، وكذا طبيعة الإنسان لأنه هو المقصود من التربية بل هو أساسها ومركزها المحوري.

ويبرز مفهوم فلسفة التربية عنده في أنها استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير لمناقشة المسائل التربوية حيث اعتبر جون ديوي الفلسفة هي النظرية العامة في التربية وهي من جهة أخرى النشاط المنظم الذي يتخذ من الفلسفة وسيلة لتحديد المنطلقات وتحديد الأهداف التي يود تحقيقها وفيلسوف التربية هو أيضا: "ذلك المهندس الذي يخطط ويرسم مخططاته انطلاقا من حاجات المجتمع" واختلاف الرؤى الفلسفية في نظره لا يؤدي إلى الاختلاف في التطبيق التربوي. ذلك أن إدراك حلول المشكلات الواقعية يختلف من شخص لآخر.[2]

لقد استطاع ديوي أن يظهر إفلاس التربية القديمة ويبرهن على عدم صلاحها للجيل الحاضر المتميز بمشاكل جديدة لم يصادفها آباؤنا ولا أجدادنا، فهي تربية كان قوامها حشو الذهن بطائفة من المعلومات

[1] محروس سيد مرسي: التربية والطبيعة الإنسانية، ص 275.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص ص 40- 42.

المدونة في الكتب والأسفار وتلقين الطالب حلول المسائل بغية النجاح في الامتحان. وقد كانت وجهة النظر هذه تمثل الرأي السائد "أن الطفل وجد المدرسة".

ذلك الرأي ثبتت خرافته فاستحال إلى: "أن المدرسة وجدت للطفل" أصبحت التربية لا تتم في المدرسة فقد، بل أيضا في البيت والملعب والسينما وفي ميدان العمل.[1] وقد قلبت المبادئ التربوية الجديدة التي أعلنها ديوي وأنشأها وجهة النظر في هذا المجال رأسا على عقب فمهما اختلفت المخالف له في تفصيلة هنا وتفصيلة هناك، فما أحسب أحدا يمارس في الأساس العميق، ألا وهو أن يكون محور العملية التربوية هو "المتعلم" نفسه لا "مادة الموضوع المدروس".[2]

وقد أظهر هذا في كتابه "المدرسة والمجتمع" وزاد هذا العرض تفضيلا في كثير من كتبه التالية والمقدمة الأساسية في النظرية التربوية هي "أن كل تفكير حقيقي ينشأ في مواقف مشكلة" ومعنى ذلك أن على التربية أن تكيف نفسها وفقا لما يشعر به الطفل من مشكلات حقيقية وأن يكون هدفها تعليمه ابتكار الفروض واستخراج نتائجها وتمحيصها بالممارسة الفعلية، وكان ديوي يرفض رفضا قاطعا طريقة التربية السلطوية القديمة التي تجعل من التلاميذ كائنات سلبية مستقلة ومتلقية فحسب وكان يطلق على هذه الطريقة اسم "نظرية المتفرج" في المعرفة وهذه النظرية التقليدية مؤداها أن المعرفة شيء نتلقاه كما نتلقى المنحة من مصدر خارجي وليست تحصيلا نكتسبه بالجهد البناء حين نطلب المعرفة أما العارف عند ديوي فهو مجرب ايجابي نشط تدفعه عقبة ما إلى القيام بالبحث الذي ينتهي غالبا بالتكيف الذي يرتضيه العارف مع ظروف بيئته ومجتمعه.[3]

فهو يؤكد على أنه لا خير في نظريات تربوية أو اجتماعية أو سياسية في أذهان أصحابها دون أن تنزل إلى ميدان التجربة. فلا عجب أن يكون ديوي قد حقق نظرياته التربوية في تلك المدرسة التي سماها بالعملية، وتتلخص نظريته التربوية كما صورها في عقيدته في الأمور التالية:

– أن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة.

---

[1] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص 09.

[2] زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، ص 220.

[3] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص 124.

– تتم هذه التربية لا شعوريا، عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد في المجتمع وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى جيل.

– التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطلب المجتمع من جهة أخرى، فالتربية عند جون ديوي هي ضرورة من ضروريات الحياة.[1]

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ص 45.

المبحث الثاني: مبادئ فلسفة ديوي التربوية

لكل فلسفة تربوية طريقة أو منهج يحققها وقواعد فكرية تمثل مضمونها ولا يختلف اثنان في أن ديوي هو فيلسوف الخبرة، هذه الأخيرة تقترن عنده بمنهجه الأداتي الذي يمثل الأساس المنطقي لفلسفته التربوية وتمثل الخبرة قاعدتها الفلسفية ولهذا يظهر دور كل منهما فيما يلي:

المطلب الأول: الخبرة أساس فلسفة التربية عند جون ديوي

لقد كتب ديوي "الخبرة والطبيعة" و"الخبرة والتربية" و"الفن والخبرة" إلى غيرها من الكتب التي نجد فكرة الخبرة مبثوثة بداخلها، وقد دعا ديوي إلى تأسيس التربية على الخبرة حينما قال: "سبق أن ذكرت أننا ننظر إلى التربية على أساس خبرة الحياة. فلابد إذن من موضوع نظرية مستنيرة للخبرة، وإن شئت فقل فلسفة للخبرة تبنى عليها الخطط والمشروعات التربوية. وإلا كانت تحت رحمة أي تيار فكري يهب عليها مصادفة".[1]

فثورة جون ديوي على الفلسفة المثالية الكلاسيكية إنما هي ثورة على الذين لا يهتمون بالواقع الخبري ويحتكمون للأفكار المجردة وفي مقابل ذلك قدم تصورا جديدا للفلسفة بصورة عامة والتربية بصورة خاصة ذلك التصور يتمثل في الخبرة ولهذا يجب أن نلفت النظر إلى مفهومها الصحيح في إطارها الفكري والفلسفي.

لقد جرى استخدام لفظ الخبرة وكذا التجربة بترادف حيث تدل إحداهما على الأخرى ليس في اللغات الأجنبية فحسب بل حتى في اللغة العربية، ففي كثير من الأحيان وحينما نتصفح المعاجم والقواميس نعثر على هذا التوازن في الاستخدام بين كلمة خبرة وكلمة تجربة.

وأما من المعنى الاصطلاحي فللتجربة أو الخبرة معنيين: الأول عام والثاني خاص، المعنى العام لمفهوم الخبرة: يتفرع فيه مدلول الخبرة إلى ثلاثة أجزاء حيث يشير الأول إلى الاختبار الذي يوسع نطاق الفكر ويثريه، أما الثاني فيعني التغير النافع[2] الذي تحدث للملكات وما تكسبه النفس بفعل التدريب والتمرين والثالث فيطلق فيه لفظ التجربة على المعرفة الصحيحة التي يحصلها العقل بملكاته المختلفة لا لكون هذه المعرفة هي من صميم

[1] رالف ن وين: قاموس جون ديوي للتربية "مختارات من مؤلفاته"، ترجمة: محمد علي العريان، مكتبة الأنجلومصرية، مؤسسة فرانكلين للنشر، القاهرة، 1964، ص ص 55- 56.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 46.

العقل، بل لأنها تستمد من خارجه ويفرق الفلاسفة في هذا بين تجربة موضوعية، أي تجربة الإدراك الحسي، وبين تجربة باطنية أي تجربة الشعور.

إن هذا المعنى العام لكلمة تجربة في جزئه الأول يقترب من المعنى اللغوي الذي يشير إلى الإنسان المجرب، أي الذي جربته الأمور فهو الذي عرف الأمور وجربها بحيث يسمح له هذا الرصيد من التجارب والأمور التي عرفها من تنمية فكره وإثرائه.

أما المعنى الخاص فهو أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة، في شروط معينة يهيئها بنفسه ويتصرف فيها بإرادته، ففي كل تجربة ملاحظة، إلا أن الفرق بينهما هو أن الملاحظ يشاهد الظاهرة كما هي عليه في الطبيعة في حين أن المجرب يشاهدها في ظروف يهيئها بنفسه، وغايته من ذلك الوصول إلى قانون يعلل به حوادث الطبيعة.[1]

الخبرة هي هداية الناس في سلوكاتهم هداية عملية متواضعة، لقد حاول جون ديوي تحت تلك التأثيرات وذلك الميل لنتائج العلم أن يجعل من الخبرة عملية ديناميكية متغيرة ومتطورة تعبر عن الترابط بين الفكر والعمل والتفكير والنشاط والفرد والمجتمع، إنها عملية الحياة نفسها وحقيقة التكيف ذاته، بل إنها السبيل إلى بناء الحياة الديمقراطية القائمة على احترام الفرد وأداة التفاعل بين الكائن الحي وبيئته، فالخبرة ليست شيئا اختباري بل تجريبي، بما يجمع بين التجريب والمعرفة العقلية. وفي هذا يقول: "فإذا ذهب عن التجريب عمى الاندفاع والعرف وصار موجها بهدف ومسير بطرق ومقاييس فقد غدا حينئذ عقليا حقا وإن بطل ما نعانيه من الأشياء وما نلقاه منها عن أن يكون رهيب بالمصادفات بل تبدل حتى صار نتيجة لأعمالنا السابقة المقصودة، فقد غدا حينئذ معنى عقلي نستنير به ونتعلم منه".[2]

فالخبرة التي تجمع بين التجربة والمعرفة هي أيضا ذلك "الموقف الذي يتعرض له الفرد فينفعل معه ويؤثر فيه ويتأثر به" ويحدث التعلم نتيجة ذلك فيكتسب الفرد معارف تساعده في الحياة.[3]

---

[1] محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 2004، ص ص 40- 41.

[2] رالف ن وين: قاموس جون ديوي للتربية "مختارات من مؤلفاته"، ص 99.

[3] جون ديوي: الخبرة والتربية، تر: محمد بسيوني ويوسف الحمادي، دار المعارف، مصر، 1954، ص 20.

والمثال المشهور الذي يضر به ديوي توضيحا للخبرة ولا ينفك يردده في أكثر كتبه، مثال الطفل الصغير حين يلمس بإصبعه النار، فليس حرق النار لإصبع الطفل كافي في حصول الخبرة بل لابد أن يتألم ثم يدرك أن النار محرقة، ثم يتعلم من ذلك أن يتجنب النار حتى لا تحرقه، ومعنى ذلك أن الخبرة فعل وانفعال بل وتتجاوز هذا المعنى إلى فهم الشخص الذي يصبح بصيرا في عواقب الأمور وبالتالي الخبرة تنمو مع نمو الفرد لكن ديوي لا يجعل هذه التجربة خبرة إلا إذا جعلنا علة الإحراق هي النار، وبالتالي لابد فهم وإدراك العلاقات بين الأشياء، وهنا نستطيع أن نكيف أنفسنا ونسيطر على المستقبل، ويعرف ديوي في تعريف موجز له عن الأساس الخبري للتربية قائلا: "إن التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة الذي يزيد في معناها وفي المقدرة على توجيه مجرى الخبرة التالية" ويستخلص من قول ديوي هذا أن:

1- الخبرة هي الفائدة التي تبنى على أساسها كل التربية.

2- التربية هي تشكيل جديد وتكوين متجدد للخبرة.

3- بفضل هذا التجدد تزداد قدرة التربية على توجيه الخبرات اللاحقة.

إن النزعة البراغماتية عند جون ديوي تنزع به إلى هذا الرأي، فالفلسفة لابد أن تساعد الناس على حل مشاكلهم الواقعية والتغلب على متاعبهم التي تقع لهم في واقع الخبرة، وما الخبرة إلا الحياة في أوسع معانيها أو كما يقول ديوي: "... ولكننا نستعمل كلمة الحياة للدلالة على الخبرة Expérience بكامل اتساعها فردية ونوعية" وفي موضع ثان يستعمل كلمة "الخبرة" في نفس المعنى الزاخر الذي تتصف به الحياة، ولهذا اجتهد ديوي لوضع نظرية للخبرة رغم طابعها العملي لسببين، الأول: البحث في ماهية الخبرة يزيل التناقض الذي يلحق بها، الثاني: يكون لدينا معيارا نميز به بين الخبرات التربوية والخبرات اللاتربوية، أو ما هو ايجابي عن ما هو سلبي في التربية.[1]

[1] محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ص 238.

هناك مبدأين أساسيين يراهما ديوي ضروريين في هذه النظرية التي رسمها للخبرة يقول عنهما: "... وقد حاولت أن أبرز حاجتنا إلى مثل هذه النظرية بلفت النظر إلى مبدأين أساسيين في تكوين الخبرة، ألا وهما مبدأ التفاعل ومبدأ الاستمرار".[1]

1- مبدأ الاستمرار

ويسمى أيضا مبدأ تواصل الخبرة، يعتمد على العادة، بشرط أن تفسر تفسيرا بيولوجيا، الحق ليست العادة مجرد طريقة آلية لأداء الأعمال بطريقة ثابتة، وإنما هي تكوين الاتجاهات النفسية انفعالية كانت أم فكرية تم كيفية مواجهة الأحاسيس الأولية والاستجابة لظروف الحياة فالعادات ليست ثابتة مطلقا، بل تتغير وتتعدل ثمرة تغير الظروف الخارجية ونمو الفرد. وينشأ هذا التعديل من طبيعة الخبرة، لأن كل خبرة يمارسها الشخص تعدله وهذا التعديل يؤثر بدوره في صفة الخبرات التالية.

ويمكن أن يكتسب المرء الخبرة عن طريقين: إما بطريق ديمقراطي أو دكتاتوري، كما كانت المدارس القديمة عن طريق القهر وإقحام الخبرة في نفوس الصغار، ولكن ديوي يفضل الطريق الديمقراطي الذي يقوم على احترام حرية الفرد وعلى مراعاة الوئام والتعاطف في العلاقات بين الناس، والروح الديمقراطية هي التي تجعلنا نعتقد أنها تضفي نوعا راقيا من الخبرة أكثر مما تفعل وسائل الكبت والقهر أو العنف[2] وأن السبب في إيثارنا الديمقراطية هو: "إيماننا بأن التشاور والإقناع عن طريق الحجة ينتجان نوعا من الخبرة، أرقى مما يتاح بأي وسيلة أخرى في نطاق واسع".[3]

وإذا كانت التربية نموا ورقيا من الناحية الجسمية والفكرية والخلقية فلا غرابة أن تقوم على مبدأ استمرار الخبرة. وقد يفترض بأن النمو قد يجري في اتجاهات مختلفة فقد يكون نافعا أو ضارا. ومبدأ استمرار الخبرة هو المبدأ الجوهري في التربية. فهو جوهري لأن تواصل الخبرة في اتجاه معين يؤدي إلى تقوية الميول التي تعمل على كسب خبرات جديدة من جهة إيثار أهداف معينة أو التنفير منها، مع السعي إلى تحقيق هذه الأهداف

[1] نقلا عن: محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ص 238.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ص ص 53- 54.

[3] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص 32.

وتيسير الطريق إلى بلوغ هذه الأهداف، وفضلا عن ذلك فإن كل خبرة تؤثر في الظروف الموضوعية التي تكتسب فيها الخبرات التالية. وهي خبرات صحيحة تسعى المدرسة لتحقيقها فتكون المدرسة بيئة اجتماعية، حتى لا يصطدم الطفل بخبرات غريبة عنه ولا تكون مسايرة للنزعات النفسية، فهو يوسع آفاق الظروف الخارجية لما يتعلمه فيما بعد، فهو حين يتعلم يفتتح كذلك بيئة جديدة.

ولو أن شخص عزم على أن يصبح معلما أو محاميا أو طبيبا أو مضاربا بسوق الأوراق المالية فهو حين ينفذ عزمه يحدد بالضرورة، وإلى حد ما البيئة التي سوف يعمل فيها مستقبلا. ويتضح من هذه الأمثلة أن الخبرة المتواصلة تقوي الميول الداخلية كما توسع نطاق الظروف الخارجية. فالخبرة هي ثمرة التفاعل بين المطالب النفسية والظروف الخارجية وهذا يسلمنا للحديث عن المبدأ الثاني للخبرة وهو التفاعل.[1]

2- التفاعل

في حديثنا عن طبيعة الخبرة وجدنا أنها تعني من الناحية الفاعلة المحاولة والتجربة، ولما كان ليس ثمة شيء في الوجود يوجد منعزلا بل كل الأشياء في ترابط فالكواكب السيارة توجد وتتحرك في نظم شمسية وكذا النباتات والحيوانات تتحرك في ظروف وأحوال متفاعلة ومتداخلة، فكذلك الأمر بالنسبة للإنسان الذي يعيش على الاتصال بالآخرين. إذ بمجرد خروجه من الأسرة يجد علاقات وروابط أخرى في المدرسة والمجتمع، فإذا جرد من هذه الروابط فقد إنسانيته. وبهذا فالخبرة هي التي تجعل الفرد يعيش دائما في تفاعل مع الأشياء التي تمثل وسطه ومع الآخرين الذين يتواصل معهم.[2] فهناك عاملان يكونان الخبرة هما: الظروف الخارجية والظروف الداخلية وكل خبرة عادية هي ثمرة التفاعل بين هاتين المجموعتين ويسمى تفاعلهما "موقف" والخبرة الحقيقية تقتضي التنظيم والتنسيق بين الظروف الداخلية والخارجية[3] والتفاعل يتم بين الفرد وبين غيره من الأشياء أو غيره من الأفراد، وتحصل الخبرة من التفاعل بين الفرد والبيئة أي نتيجة التفاعل بين مطالب الفرد وحاجاته ودوافعه والظروف الخارجية المحيطة به، بل تتعداه إلى التوفيق والتنسيق بين هذين العاملين، وهنا يلتقي مبدأ الاستمرار مع مبدأ التفاعل في الخبرة التربوية، هذا الذي يمثل انتفاضة ديوي على التربية القديمة في تركيزها على

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ص 53.

[2] المرجع نفسه، ص 56.

[3] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، 1971، ص 350.

الظروف الخارجية وإهمالها لميولات الأفراد. فالتربية التقدمية تقوم على التفاعل بين الظروف الداخلية من جهة والخارجية من جهة أخرى ويسمى تفاعلهما "موقفا" يفضي إلى خبرة تربوية سليمة وتتنوع الخبرات الناتجة عن الفروقات الفردية من حيث الاستعداد والتفاعل، ولهذا يؤمن المربون بأنه لا يمكن معاملة جميع التلاميذ في المدرسة معاملة واحدة، فقد تكون هناك مساواة من حيث توفير وسائل التفاعل ولكن لا يمكن ضمان تلك المساواة من الناحية التربوية، لأنه كلما زادت اختلافات الأفراد زادت اختلافاتهم في الخبرة، ولما كان ديوي يهدف إلى الحفاظ على الاتزان بين ميولات الفرد ومقتضيات البيئة عمل في إصلاحه التربوي بتركيز الجهود على الطفل في كل جوانبه باعتباره طرفا مركزيا في عملية التفاعل دون إغفال الجانب الآخر من التفاعل وهو المدرسة أو البيئة وظروفها.[1]

وللخبرة البشرية خاصيتان هما:

- المتعة المباشرة

مثل الاحتفالات والزخرفة والرقص والغناء التي أدت إلى ظهور الفنون الجميلة وألوان من التذوق أكثر تحضرا.

- العمل المفيد

الذي يؤدي إلى فنون عملية ومعرفية علمية.

وتتفاعل الأحداث الموجودة في عالم الخبرة بناء على ثلاث مستويات متتابعة، الأول وهو المادة، ويصفها علم الطبيعة، والتفاعلات هنا آلية ورياضية والثاني هو الحياة، حيث تتفاعل المادة العضوية مع الموضوعات الخارجية عن طريق أعضاء الحس، والجهاز العصبي والانعكاسات، أما المستوى الثالث هو الذهن بما له من أنشطة مثل: التداعي والتواصل والمشاركة وحيازة معاني والاستجابة لها، بما في ذلك معاني الذاكرة والخيال وكل ذلك هو تفاعل متبادل بين الكائن الحي البشري وبيئته.[2]

[1] محروس سيد مرسي: التربية والطبيعة الإنسانية، ص 119.

[2] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 530.

وإذا أردنا أن ندرك كيف تتم العملية التعليمية التربوية بنجاح كامل، وجب علينا أن نتجه إلى خبرات الأطفال حيث تكون عملية التعليم ضرورة، لا أن نتجه إلى خبرات المدرسة وتجاربها التي هي زخارف إلى حد بعيد ومسائل شكلية سطحية، بل لعلها عملية فرض لا يرحب بها الأطفال ولا يتقبلونها بقبول حسن. والحقيقة دائما مطلب من مطالب النظريات التقدمية التي تدعو إلى التركيز على الطفل في العملية التربوية، وأكد ديوي على هذا التحول في قوله: "... وفي الوقت الحاضر نرى أن التغير المقبل في تربيتنا هو تحول مركز الجاذبية فهو تغير أو ثورة ليست غريبة عن تلك التي أحدثها كوبرنيكس عندما تحول المركز الفكلي من الأرض إلى الشمس ففي هذه الحالة يصبح الطفل الشمس التي تدور حولها تطبيقات التربية وهو المركز الذي ننظمها حوله".[1]

المطلب الثاني: التربية التقدمية عند ديوي

لقد ربط ديوي التربية بالخبرة، ومادام لكل إنسان خبرته في مجتمعه فإنه ينبغي على المربي أن يكون ملما بها، فذلك الربط الذي يقدمه جون ديوي بين الجانب النظري الذي يمثل النظرية التربوية والجانب التطبيقي المتمثل في التدقيق الميداني للنظرية، ويوضح مدى إمكانية أن تصبح النظرية علمية ومن البديهي إذا أن يوجه ديوي التربية نحو العلم لأنه يطمح إلى "التربية التقدمية" التي تصلح المجتمع وتجعله يساير الازدهار العلمي. ومن هذا المنطلق نطرح السؤال: ما هي التربية التقدمية عند ديوي؟ وما هي الأهداف المرجوة منها على مستوى الفرد والمجتمع؟[2]

من الكتب التي قدمها جون ديوي في التربية التقدمية هو كتاب "مدارس الغد" الذي نشر عام 1915م واستخدم مصطلح "التربية التقدمية" عام 1919م. وللحركة التقدمية تيار فكري ونسق من المبادئ. إن التقدم هو الحركة التي تسير نحو الأهداف المنشودة أو الأهداف الموضوعية التي تنشد خيرا، وينطوي التقدم على مراحل، تكون كل مرحلة من مراحله أكثر ازدهارا وأرقى من المرحلة السابقة؛ كما تشير كلمة التقدم إلى انتقال المجتمع البشري إلى مستوى أعلى من حيث الثقافة والتعليم، والقدرة الإنتاجية والسيطرة على الطبيعة من أجل إسعاد الإنسان، وهذه الحركة الاصلاحية تحمل على عاتقها مراعاة حاجات الطفل، والقول بأن التعليم لا

[1] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص 54.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 76.

يكون صالحا إلا إذا اقترن بالعمل وفق ميول الطفل، ومن أصحاب هذه النظرية نجد باستالوزي، فرويل، منتسوري، ديكرولي، وباركر... إلخ، وغيرهم ونحن الآن مع جون ديوي الذي وضع مجموعة من المبادئ التقدمية من أجل الوصول إلى تربية متكاملة ويمكن تعريف التربية التقدمية بأنها: "المنهج التربوي الذي يؤكد على ديمقراطية التربية، والإبداع الذي يتناسب مع ميول التلاميذ، وتعليمهم بالعمل، والعلاقة الوطيدة بين المعلم والتلاميذ".[1]

1- المبادئ الأساسية للتربية التقدمية

– اهتمام التربية بكل ما يؤثر على نمو الطفل الطبيعي

أكد التقدميين أن الطفل كائن نام ولابد له من جو طبيعي يلائم نموه الصحيح بحيث يجب الاهتمام بجميع الجوانب الانفعالية والعقلية والجسمية والاجتماعية للطفل.

- نشاط التربية وايجابيتها وعنايتها باهتمامات الطفل

إن ما أثار التقدميين حول الطفل نتائج العلوم السلوكية؛ علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأجناس، وعلم الأحياء، وقدموا نظرية الطفل الكامل ردا على ما يعتبرونه تفسيرا جزئيا طبيعة الطفل.

- التركيز على طريقة حل المشكلات

لا تقبل التقدمية حشو المعلومات في رؤوس الأطفال والاهتمام بالمعارف فقط، فهي تقف عائقا أمام الابتكار، ذلك أن المعرفة هي أداة تستخدم في التجارب ومواجهة المواقف الحياتية المتجددة لتكون ذات معنى فالطفل لابد أن يحصل على معرفة من خلال التجارب.

[1] إبراهيم ناصر: فلسفات التربية، الجامعة الأردنية، عمان، ط2، 2004، ص 34.

- تشجيع المدرسة للتعاون أكثر من تشجيع التنافس

من مبادئ الفلسفة التقدمية أن الإنسان اجتماعي بطبيعته، وسعادته في الوسط الاجتماعي وتعاونه مع الآخر تعني له أكثر من سعادته بنجاحه الفردي، وخاصة أن التنافس قد يولد الحقد، أما التعاون ينمي الجانب الاجتماعي في الطبيعة البشرية فالتربية هي الحياة المتحضرة التي تتكون من مجموعة من الخبرات.

- تبني التربية التقدمية في المدارس التقدمية

يؤكد التقدميون على ديمقراطية التربية،[1] وعبر ديوي عنها بقوله: "الديمقراطية أكثر من مجرد شكل من أشكال الحكومة إنها أساسا نمط من الحياة المشتركة والمتضامنة المتصلة".[2]

- الميل هو دافع العمل

إن رغبة الطفل في دراسة المشروع ما هو إلا دافع للعمل فالطفل في المدرسة التقدمية يتعلم ويقوم بأعمال تساعد على تفتحه ونموه وكل ما يقوم به يلبي حاجة طبيعية لديه.

- التربية في نظر التقدمية هي الحياة وليست إعداد للحياة

إن الحياة الذكية هي التعليم لأنها تتضمن تفسير وتحديد بناء الخبرة، فالمدرسة في نظر ديوي ليست مكانا لتلقين المعلومات وتكوين عادات من أجل مستقبل بعيد. إنها صورة مصغرة للحياة الاجتماعية، تعد إعدادا جيدا حتى يستطيع الطفل ممارسة الحياة الاجتماعية بكل معانيها فيكتب العادات والقيم الخلقية عن طريق نشاطه فالتربية هي الحياة وليست إعداد لها.[3]

لقد نادى ديوي بهذه المبادئ، واعتمد في تطبيق الفلسفة التقدمية على هذه الفرضيات.

---

[1] إبراهيم ناصر: فلسفات التربية، ص 347.

[2] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص 20.

[3] إبراهيم ناصر: فلسفات التربية، ص ص 347- 348.

- محتوى المنهاج يجب أن يتم اشتقاقه من اهتمامات التلاميذ وليس من المواضيع الأكاديمية

- التعليم الفعال يأخذ بالحسبان كامل شخصية الطفل واهتماماته وحاجاته

من حيث المجالات العقلية والانفعالية والحركية.

- التعليم من حيث الأساس فعال وليس سالب

المعلمون الفعالون يزدادون التلاميذ بخبرات تمكنهم من التعلم عن طريق العمل.

- هدف التربية هو تعليم التلاميذ أن يفكروا بعقلانية

كي يصبحوا أذكياء وأعضاء فاعلين في المجتمع.

- في المدرسة يتعلم الطفل قيما شخصية فردية وكذلك قيم اجتماعية.

- الجنس البشري في حالة تغير دائم

والتربية تجعل من الممكن أن يكون أفضل من الماضي.[1]

لابد من الإشارة إلى أن التقدمية كنظرية أو اتجاه إنما تستمد تصوراتها من نظرية دارون في التطور، حيث يرى أن حياة الإنسان معناها وجود سلوك وفاعلية، ولكي تستمر الحياة، والفاعلية يجب أن تتوافق مع البيئة، خصوصا وأن هذا التوافق يتطلب تغيرا في الكائن الحي والبيئة معا، لوجود تفاعل مستمر بينهما، ولهذا نجد رقي الإنسان يعلو كلما كان تغيير بيئته أكبر،[2] فتكلم عن تطور الفرد في ظل التغيرات الراهنة والمستمرة للمجتمع وهذا ما يجعل من التغير أمر مهم في التربية، والتغير الذي يريده ديوي يقوم على إشراك الفرد في الوعي الاجتماعي، ولنا أن نتأمل قول ديوي في المادة الأولى من عقيدته التربوية إذ يقول: "إني أعتقد أن كل تربية تقوم على مشاركة الفرد في الوعي الاجتماعي في الجنس البشري وتبدأ لا شعوريا وتشبه أن تكون منذ

[1] إبراهيم ناصر: فلسفات التربية، ص ص 344- 345.

[2] محروس سيد مرسي: التربية والطبيعة الإنسانية، ص 120.

الولادة. ثم لا تزال تشكل باستمرار قوى الفرد بتغذية شعوره وتكوين عاداته وتهذيب أفكاره وتنبيه مشاعره وانفعالاته وعن طريق هذه التربية اللاشعورية يصل الفرد شيئا فشيئا إلى المشاركة في التراث".[1]

ويمكن استخلاص فكرة ديوي الأساسية حول أهمية البيئة الاجتماعية ويمكن إجمال وظائفها في التربية التقدمية فيما يلي:

أ- تبسيط وتنظيم ميولات الناشئين والعمل على تنميتها.

ب- تغير العادات الموجودة وترقيتها بتطهيرها من كل ما يعيق الفكر عن التفكير السليم.

ج- خلق بيئة جديدة تتناسب وتتفاعل بين قدرات الأفراد والتغيرات الحاصلة في المجتمع.

نستنتج أن التربية التقدمية هي عملية نمو، وهي الحياة نفسها، ونجاحها يتوقف على مدى تحقيقها للنمو المستمر مما يؤكد على أن العملية التربوية تقوم على تدبر النتائج المختلفة للعمل، واستغلال هذا التدبر في توجيه الملاحظات وتنظيمها لتنشئة الفرد يوحي بمكانة الأهداف في فلسفة التربية عند جون ديوي، يقول ديوي في كتابه "التربية والديمقراطية": "الهدف في معناه وجود عمل يرتب، ينظم العمل الذي يقوم فيه النظام على الإكمال التدريجي لعملية من العمليات التربوية".[2]

إن الهدف يدل على نتيجة، أي سبيل طبيعي على مستوى الوعي، بحيث تحيله عنصرا في تقرير الملاحظة الراهنة، وفي اختيار طرق التصرف، وبصفة خاصة يعني تدبر العواقب من حيث نتائجها المحتملة المترتبة على تصرف ما في موقف ما وبطرق مختلفة والإفادة منها وهذا لتوجيه الملاحظة والتجربة.[3]

ويخلص ديوي ثلاث نقاط في تدبر الأهداف هي:

[1] زكريا إسماعيل أبو الضيعات: الديمقراطية وفلسفة التربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2009، ص 32.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 102.

[3] رالف ن وين: قاموس جون ديوي في التربية، ص 41.

– أنه يتضمن الملاحظة الدقيقة للظروف القائمة لمعرفة الوسائل الميسرة لبلوغ الغاية، واكتشاف ما يعترض الطريق من عقبات.

– أن يتميز بالملاحظة الدقيقة للظروف القائمة لمعرفة الوسائل الميسورة لبلوغ الغاية، واكتشاف ما يعترض الطريق من عقبات.[1]

– أنه يمكن تغير طريق دون آخر من الطرق المحتملة، فلو استطعنا التنبؤ عن نتيجة هذا الأسلوب من العمل أو ذلك لاستطعنا أن نوازن بين قيمة كل منهما، وتحكم على أفضليتهما النسبية.

فالهدف عند ديوي يدل على نتيجة، أي سبيل طبيعي على مستوى الوعي وتدبر العواقب من حيث النتائج المحتملة والإفادة من ذلك في توجيه الملاحظة والتجربة.

وبهذا يكون الهدف الأعلى للتربية تحقق استمرارية التربية؛ أي تساعد الفرد على الاستمرار في تعلمه، وبالتالي نموه وتكيفه وحياته، ولهذا فإن أهداف التربية تنتج من داخل التربية لا من خارجها، أي تنبع من حاجات التلميذ وخبراته ونشاطاته أو على الأقل يشترك في تحديدها في ضوء خبراته السابقة، وهذا ما تؤكد عليه التربية التقدمية. (اشتراك المعلم في تكوين أهدافه) ويذكر جون ديوي في كتابه "الديمقراطية والتربية" ثلاثة موازين للأهداف التربوية الصحيحة والسلمية.

1– يجب أن يؤسس الهدف أو الغرض التربوي على أوجه النشاط الداخلي للتلميذ وعلى حاجاته.

2– إمكانية ترجمة الهدف إلى أعمال وخبرات دراسية تقوم على نشاط المتعلم وتساعده على تنمية مواهبه واستعدادته.

3– يجب اعتبار الأهداف أمور تقريرية وليست أمور نهائية، كما يجب الربط بين الأهداف ووسائلها.[2]

والهدف الحقيقي يبدأ بنزعة المتعلم والحيلولة دون إشباع هذه النزعة إشباعا مباشرا يحيلها إلى رغبة، ومع هذا ليست النزعة والرغبة هدفا، لأن الهدف غاية متطورة يتضمن التيسر بالعواقب وهذا يتطلب ذكاء،

[1] حفاد يحي العسكري: الغزالي وجون ديوي، ص 150.

[2] زكرياء أبو الضيعات: الديمقراطية وفلسفة التربية، ص 83.

وبالتالي ملاحظة الظروف والملابسات الموضوعية، لأن النتائج لا تترتب على مجرد وجود النزعة والرغبة، وإنما تتم بتفاعلهما أو تعاونهما مع الظروف المحيطة، وبالتالي تكوين الهدف ليس عملية سهلة عند ديوي لأنها تتطلب وجود واقع ورغبات عند المتعلم وملاحظة واسترجاع الماضية ومن ثم الربط بينهما، وترجمة الهدف إلى خطة عمل.

وبالرغم أن ديوي لم يرى للتربية غرضا غير تحقيق نفسها، إلا أن المتصفح لكتاباته خاصة كتابه "الديمقراطية والتربية" يجد فيها عبارات تدل على بعض الأهداف الفردية والاجتماعية للتربية ومنها ما يلي:

1- مساعدة الفرد على النمو المتكامل للشخصية وعلى تفتح استعداداته، وطاقاته وتنميتها لأن التربية في نظره لا تعدو أن تكون عملية نمو وعملية تفتح لاستعدادات الفرد.[1]

2- مساعدة الفرد على التكيف المستمر مع بيئته الاجتماعية والطبيعية وتزويده بالخبرات التي يتطلبها هذا التكيف.

3- إعداد الفرد للحياة المستقبلية، لكن من غير إهمال لمتطلبات حياته الحاضرة وهذا العرض يقتضيه تفسيره للتربية بأنها عملية نمو، لأن هذا التغير يتطلب مراعاة الإمكانيات والمتطلبات الحاضرة والنظر إليها على أنها متطورة في تقدم مستمر كما يعمل على إعداد الفرد لحياته المستقبلية وجعله مسيطرا على متطلبات الحياة.

4- إعادة بناء الخبرة الاجتماعية وتحسين المجتمع وتطويره، فكما أن التربية في نظره هي عملية نمو وتفتح لشخصية الفرد فإنها أيضا عملية اجتماعية تهدف إلى تطوير المجتمع وتحسينه.[2]

وصفوة القول أن جون ديوي جعل من هدف التربية هو النمو في كل نواحي الفرد الجسمية والعقلية والنفسية؛ وذلك لا يتحقق في ظل النظام التربوي الكلاسيكي، ولهذا سعى ديوي إلى بناء منهج يلائم التفكير عامة والتربية خاصة في الحياة المعاصرة وفي المطلب القادم سنشرف على منهج ديوي في التربية.

[1] عبد الحكيم كرام: محاضرات في تاريخ التربية، ص 38.

[2] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص ص 353- 354.

المطلب الثالث: المنهج التربوي عند جون ديوي ونقده للمناهج التقليدية

إن مهمة التربية تستدعي التطور الكامل للفرد، ولهذا الغرض لابد من منهج قويم، سعى ديوي لابتكاره وكانت نظريته في المنهج الروح التي تجري في نسقه التربوي فما هو منهج جون ديوي في التربية؟ وكيف حقق التجديد فيه من خلال نقده لمناهج سابقيه؟

تقوم التربية الجديدة على اعتبار المدرسة مؤسسة اجتماعية ونموذجا فعالا وحيويا للتجربة الحياتية للطفل. ومن المستحيل وفق ديوي أن يغدو وهذا الاعتبار حقيقة مجسدة من دون الاستثمار الاجتماعي الذكي للمنهج العلمي التجريبي.[1] وقد لاحظ ديوي أن مضمون التربية التقليدية يختزل في:

1- مجموعة المعارف والمهارات الماضية والمهمة الرئيسية التي ينبغي أن تضطلع بها تكمن في نقل هذه المعارف والمهارات مرة أخرى إلى الجيل الجديد.

2- مقاييس السلوك وقواعده مستوحاة من الماضي، لذا فإن واجب التربية الخلقية التزام هذه المقاييس في بناء عادات السلوك.

3- مؤسسة مغايرة لسائر المؤسسات الاجتماعية بطابعها العام الذي يميز نظامها المدرسي، أي علاقة التلاميذ ببعضهم وعلاقة التلاميذ بمدرسيهم

وانطلاقا من هذه المبادئ الثلاث التي تبنى عليها التربية التقليدية، فإن هدفها الرئيسي كان إعداد النشيء لتحمل أعباء التبعات المستقبلية؛ عن طريق اكتساب المعارف المنظمة والمهارات التي تشتمل على المواد التعليمية، وديوي لا يشاطر أصحاب التربية التقليدية الرأي وبذلك تكون التربية التقدمية في نظر ديوي مقبلة على ثورة ننقل فيها الاهتمام إلى الطفل ومن هنا جاء بالمنهج العلمي.[2]

[1] حنيفي جميلة: دور المدرسة في بناء الديمقراطية لدى جون ديوي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 10، 2013، ص 35.

[2] حسين بن عبد السلام: فلسفة التعلم بالعمل عند جون ديوي وأهميتها في إستراتيجية الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر، 2008، ص 46.

وما "المنهج العلمي" إلا الطريقة التي يستخدمها الإنسان في خروجه من دائرة الفكر المحض إلى دنيا العمل. وهذا يتم بالاستنباط والاستقراء معا، فأنت إزاء مشكلة تفرض فرضا معينا تظن أنه ممكن التنفيذ يقتضي أن نستخلص منه النتائج التفصيلية التي تترتب عليه، ذلك هو الاستنباط وعندئذ تخرج إلى الدنيا الخارجية بعينة التنفيذ وفق تلك التفصيلات، التي تحددت بالفروض وها هنا سنصطدم بالوقائع ذاتها والحوادث ذاتها وعندئذ تدرك إدراكا عمليا قائما على المشاهدة وعلى التجربة إن كان فرضك الأول صوابا يمكن أنه مؤد إلى الغاية المنشودة أو لم يكن، وهذه هي مرحلة الاستقرار في حل المشكلة، وتتم عملية التفكير إزاء مشكلة من المشكلات إلا إذا أجرينا التجربة العملية على الفرض الذي فرضناه حلا لها. وتمت التجربة بالنجاح المطلوب.

وبالتالي من مواجهة مشكلة إلى فرضية تمثل فكرة إلى تجربة، إلى تحقيق النتائج، هذا هو المنهج العلمي عند ديوي، وهو إذا شبيه جدا إن لم نقل نفس المنهج العلمي التجريبي ومرحلة الفرض أي الحل المقترح يسميها ديوي[1] "الفكرة" ونجد كلود برنارد في " المدخل إلى دراسة الطب التجريبي" يقول: "إن المبادهة التجريبية كلها تمثل في الفكرة هي التي تطرح التجربة ولا يصلح للعقل أو الاستدلال إلا لاستنباط النتائج من هذه الفكرة وإخضاعها للتجربة".[2]

وهنا بدون مبالغة يمكن القول أن منهج "جون ديوي" علمي خالص، فالتربية التقدمية لا تقبل حشو المعلومات في رؤوس الأطفال والاهتمام بالمعارف فقط، بل وتعتبر هذه المعارف الجامدة التي تختزن في أذهان الأطفال حائلا دون النمو الابتكاري. والمعرفة هي الأداة التي تستخدم في التجارب مواجهة المواقف الحياتية المتجددة، لتكون ذات معنى؛ ولابد أن يحصل الطفل على المعرفة عن طريق التجارب، وبالتالي لا معنى للمعارف الأصلية، ولهذا يؤكد على وحدة المناهج النابعة من وحدة الطبيعة والحياة، ويهاجم التقسيم التقليدي للمناهج في المواد المختلفة، إن المناهج الدراسية وحدات ديناميكية هادفة تعين التلميذ على مواجهة المواقف وحل المشكلات ومن ثم فهدفه ليس ملئ العقول بالحقائق الثابتة بل تنمية القدرات العقلية وإعادة تنظيم الخبرات السابقة.[3]

---

[1] زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، ص 170.

[2] هنري أرفون: فلسفة العمل، ترجمة: عادل العلول، منشورات عويدات، بيروت، 1989، ص 59.

[3] زكرياء إسماعيل أو الضيعات: الديمقراطية وفلسفة التربية، ص ص 87- 88.

وإذا كان المنهج في معناه الدقيق هو مجموعة من الإجراءات والطرق الدقيقة المتبناة من أجل الحصول إلى نتيجة، وهو أيضا مجموعة من الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية التي تهيئها المدرسة لتلاميذها فإن أساس المنهج التربوي الجديد الخبرة التي يكتسبها المعلم في مواقف مختلفة، فكل خبرة يكتسبها التلميذ جزء من المنهج ذلك أن حياة الطفل الاجتماعية هي أساس لجهوده، وبالتالي فإن الوعي الاجتماعي يجب مراعاته في المنهج التربوي.[1]

فالخبرة هي التي تقوم على تنظيم الظروف تنظيما علميا، أي وفق ما يقتضيه المنهج العلمي وذلك بما يعود بالنفع على المتعلمين، الأمر الذي جعل ديوي يسميها "المداومة الفكرية" أو "الخبرة التفكيرية" ويجعلها أساس المنهج التربوي الجديد. هذه الخبرة قائمة على الدقة فهي لا تقف على الجانب النظري بل تتعداه إلى الجانب التطبيقي، والخبرة التفكيرية ليست التجربة المخبرية كما عرفها التجريبيين، ولا المعقولة كما عبر عنها كانط وإنما هي تجربة تقوم على الفكر والنشاط العلمي معا، حيث تعبر عن الفكر تعبيرات واقعيا في نجاحه أو في فشله، فالخبرة التفكيرية رفعت عن المنهج التربوي الجمود الذي عرفه مع التربية التقليدية.[2]

فهو يرى أن التربية التقليدية ممثلة بمناهجها القديمة (قد قتلت في المتعلمين روح الابتكار بما تتضمنه من أنشطة تعليمية لا تتجاوز الحفظ والتسميع والنقل والتكرار... إلخ، إلى جانب ما تطبعهم عليه من إتباع النظام والهدوء والطاعة والنظافة وغير ذلك من فضائل أخلاقية معروفة ومشهورة) وبالمقابل اعتنى ديوي بأمر التفكير، وجعله قاعدة أساسية لفلسفة التعلم بالعمل، وحاول إقامة هذه الأخيرة على أساس التجريب العلمي والعملي، فانتهى إلى أن طريقة التفكير العلمي هي الطريقة الوحيدة للتربية التقدمية الحديثة.

وإذا كانت طريقة العلم التجريبي قد أظهرت الاعتبارات التي يجب أن تضعها التربية نصب عينيها، أنه لا وجود لمعرفة حقة أو فهم مثمر إلا أن يكون نتاجا للعمل أن هذا يعني أن القياس الصحيح لمدى ما حرزه التلميذ من تقدم في عملية التعلم لا يكون بما يقوم به من تسميع داخل الفصل وإنما بمدى قدراته على العمل والنشاط والسلوك القائم على البصر والذكاء.[3]

---

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 124.

[2] نفسه، ص ص 125- 126.

[3] سعيد إسماعيل علي: أصول التربية العامة، دار الميسرة، عمان، ط1، 2007، ص 347.

إن المركز الحقيقي للمنهج عند ديوي ليس في المواد المنفصلة المرتبة منطقيا بل هي نشاطات الطفل الذاتية وخبراته، وقد حاول ديوي أن يطبق هذا المبدأ في منهج مدرسته الابتدائية، حيث جعل الأطفال في هذه المدرسة يبدعون بأوجه النشاط التي يعهدونها في حياتهم المنزلية؛ وفي حياتهم العامة لمجتمعهم وهي الأنشطة المتصلة بالحصول على المأكل والملبس والمأوى (كالطبخ والخياطة).

وهذه الأنشطة التي يتكون منها منهج السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية، لا ترمي فقد إلى إحداث التناسق والترابط بين الوظائف الجسمية بل ترمي أيضا إلى تحفيز القوى العقلية وربطها بأعمال وظيفية، وأكد ديوي في منهج مدرسته الابتدائية تعلم الحساب والموسيقى، الفن، التجارة، الطبخ، الخياطة، العلوم، الجغرافيا، التاريخ، القراءة، الكتابة، البيئة وكل هذا لم يدرس كمواد منفصلة مستقلة بعضها عن بعض بل تدرس عرضا عن طريق ربطها بمواقف ومشاكل الحياة.[1]

لقد ناقش ديوي أفكار دور المنهج في كثير من كتبه ومقالاته، أما بالنسبة لطريقة التدريس التي طبقها في مدرسته والتي كان يدعو إليها في كتبه، في نظر ديوي إن مسألة الطريقة يمكن أن ترد في نهاية الأمر إلى مسألة نظام أو إيضاح أو إنماء قوى الطفل واهتماماته، كما يرى أن طرق التعليم الراهنة زاخرة بأن بيانات الدالة التي تجعلنا نعتقد بأن العقول أصبحت تنفر من التعليم،[2] ونحن لابد أن نرى أن هذا النفور هو في الواقع اتهام دامغ بالإدانة لطرق تعليمنا، وهذا الرفض للتربية التقليدية يعبر عنه ديوي في قوله: "فإن نشأة ما يسمى بالتربية الجديدة والمدارس التقدمية هي في حد ذاتها نتيجة عدم الرضا عن التربية التقليدية وهي في الواقع نقد موجه لهذا النوع من التعليم"[3] ولابد أن نذكر في هذا السياق أن رغم النقد الذي يقدمه اتجاه نصوصه، إلا أنه لا يتوانى في تقدير جهود رجال التربية حينما تستوجب منه الموضوعية العلمية، ذلك فمثلا رغم اختلافه مع أفلاطون، إلا أنه يبدي إعجابه بأفكاره الداعية إلى العدالة الاجتماعية والخير والفضيلة، رغم عدم موافقته له في المسلك الذي اتخذه لتحقيق هذه الأفكار، بالإضافة جان جاك روسو في دعوته للتركيز على الطفل وحريته

[1] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص ص 355- 356.

[2] محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ص 235.

[3] نقلا عن: عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص 358.

والاهتمام بميولاته، ومع ذلك لا يوافقه في نزعته الطبيعية،[1] ولهذا جاءت هذه المبادئ في طرق التدريس عند ديوي.

1- الإعلاء من شأن الخبرة المباشرة، ذلك أن التربية الصحيحة إنما تتحقق عن طريق الخبرة الصالحة، أي التي تساعد الفرد على بناء خبرته وتجددها وتتضمن تفاعلا بين الفرد وبيئته وتتصل بواقع حياته ومشاكله وقد يعتقد أنه لم يراعي الاهتمام بتنظيم الخبرات وترتيبها، ولقد صحح ديوي هذا المبدأ "إن المربي لا يستطيع أن يبدأ أبدا بالمعرفة المنظمة من قبل ثم يمضي يقدمها للمعلمين في جرعات مقررة ولكن العملية النشطة لتنظيم الحقائق والأفكار بوصفها مثلا أعلى هي عملية تربوية حاضرة في الأذهان على الدوام..."

2- في الفصل الثالث من كتابه "المدرسة والمجتمع" تحدث ديوي عن مبدأ يرقى في منتهى الأهمية، عزلة المدرسة على أنها انعزال عن الحياة، ديوي لا يفصل بين المدرسة والمجتمع ويقول: "ومن الواجب أن يدرس الطفل الحساب، الجغرافيا، التجارية ولكن ليس بوصفها أشياء معزولة بنفسها، ولكن بالإشارة أو بالرجوع إلى محيطها الاجتماعي" ونجده يقول: "فعلى الطالب ألا يتعلم إلا ما كان ذا معنى له".[2]

3- من مبادئ ديوي في التربية مبدأ وجوب مراعاة الفروق التربوية بين التلاميذ، ودفعهم إلى النشاط الذاتي، ويجب على المعلم أن يستغل في العملية التربوية الميل إلى الحركة والنشاط واللعب يقول ديوي: "فالأطفال جميعا يرغبون في التعبير عن أنفسهم باللون والشكل واللغة أسهل شكل من التعبير الاجتماعي لدى الطفل ومع ذلك فهي عظيمة بل لعلها أعظم جميع المصادر التربوية".

4- الطريقة الصالحة للتربية هي التي يساعد على إيقاظ قوى التلميذ واستعداداته العقلية وتعويده على الاستقلال والاعتماد على النفس والتفكير المنطقي وحب التعاون وتشجيعه على الإبداع.

5- وليبذل التلميذ نشاطا حقيقيا في أي واجب من الواجبات، لابد من أن يكون لهذا الواجب قيمة ومعنى بالنسبة إليه، ولهذا لابد ما يتعلمه التلميذ له قيمة عنده، وأن تكون هناك مشكلة حقيقية أمام عقل التلميذ يقول ديوي: "من دون وجود سؤال ما أَوْشَك ما مَاثِلْ في العقل يكون حدوث الانتباه الفاحص مستحيلا"

[1] نفسه، ص ص 358- 359.

[2] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص ص 85- 86.

وينصحنا ديوي إلى أن إذا لم تكن المادة جوهرها قوة جذابة فالمعلم سيحاول أن يحيط بجاذبيته الخارجية، وذلك بأن يفرض أمرا أو أن يلجأ إلى التخويف كالدرجات الواطنة والتهديد بالرسوب وهذا ينتج عنه:[1]

أ- انتباه جزئي أي لا نحصل على انتباه كلي.

ب- يبقى على الدوام معتمدا على شيء خارجي، لذا فعندما تزول الجاذبية فلن يتحقق إلا جزء من السيطرة العقلية الداخلية.

ت- هذا الانتباه من هذا النوع هو من أجل تعلم أي حفظ إجابات للامتحان ليس أكثر.

6- يرى ديوي وجوب منح التلميذ حرية الحركة والنشاط الخارجي ولكن لابد أن ينظر إليها على أنها وسيلة لخلق القدرة على الضبط الذاتي لدى التلميذ ولتنمية الحرية الحقيقة لديه.

والطريقة العامة التي يوصي بها ديوي هي طريقة المشروع Projet méthode وهذه الطريقة لها أهمية بالغة في فكر ديوي ونظريته التربوية وستعرف تفاصيلها في المبحث القادم.[2]

يقول ديوي مبينا أهمية المنهج لما كانت النتائج التي تنتهي إليها تكون مجموعة من مادة تناولها التنظيم ثم لما كانت هذه المجموعة منظمة من مواد البحث لما تبلغ المرتبة العلمية إلا بفضل المناهج التي استخدمت لبلوغها تحتم على مجموعات الحقائق والمبادئ التي تتألف مادة العلم أن تكتشف في نفسها عن خصائص تساير الشروط التي يفرضها المنهج.[3]

المبحث الثالث: التربية العملية عند ديوي

المطلب الأول: المدرسة عند جون ديوي

1- مفهوم المدرسة عند جون ديوي

[1] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص 361.

[2] نفسه، ص ص 361-362.

[3] جون ديوي: المنطق نظرية البحث، ترجمة: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص 709.

إن المدرسة تلعب دورا هاما في بناء الحياة الاجتماعية، التي تكسب الطفل الخبرات والقيم الأخلاقية عن طريق الاندماج في المجتمع، وإحداث التغيير في المدرسة يهدف إلى تحسين صورة الحياة الاجتماعية، ولهذا يدعو ديوي إلى ضرورة تلائم المدرسة مع المجتمع حيث أصبحت الجديدة في التربية، فالمدرسة هي مؤسسة اجتماعية تشبه في واقعيتها وأهميتها حياة الطفل في المنزل.[1] والمدرسة بالمعنى الواسع هي جماعة من العلماء أو الفلاسفة ينتسبون إلى مذهب واحد، أو يدافعون عم مبدأ واحد، ويستعمل لفظ المدرسة بصيغة المفرد (l'école) دال على الفلسفة المدرسية بالمعنى الضيق، هي جماعة من الفلاسفة لهم مذهب واحد ونظام واحد ورئيس أو عدة رؤساء.[2]

ويرى جون ديوي بأن المعنى اللغوي لكلمة "مدرسة" يشير إلى التغيير الذي حدث فيها وفي هذا الصدد يقول: "الكلمة الإغريقية التي اشتقت منها كلمة مدرسة في اللغة الإنجليزية "School" معناها خلو من العمل أو الفراغ".

أما المدرسة بالمعنى الاصطلاحي هي مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع عن قصد وظيفتها الأساسية تنمية شخصية الأفراد تنمية متكاملة؛ وتنشئة الأجيال الجديدة مما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعدهم له، والمدرسة إنما هي المنشأة التي تضم مجموعة من التلاميذ يتلقون دراسات محددة في مستويات معينة عن طريق مدرس أو أكثر بالإضافة إلى المشرفين والمسؤولين عن حسن سير العملية التعليمية بالمدرسة.[3]

ويرى ديوي أن خير وسيلة تعين المدرسة هي أن تكون مثل الورشة أو المعمل ويجب أن تحتوي على الأدوات والمعدات التي يمكن أن يبني بها الطفل بحثه ونشاطه، فالمدرسة هي صورة لحياة المجتمع تركز فيها كل تلك الوسائط لكي يهيئ الطفل للمشاركة في ميراث الجنس الإنساني، ولاستخدام قواه الخاصة لتحقيق

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 112.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ص 210.

[3] جديدي محمد: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ص 253.

الأهداف الاجتماعية، ومنه نستنتج أن المدرسة هي صورة الحياة الاجتماعية، وهي طريقة لتوجيه التربية حين تصبح على حق وكما أنها الطريقة الأساسية في التقدم والإصلاح الاجتماعي.[1]

2- وظيفة المدرسة

لقد حدد جون ديوي وظيفة المدرسة انطلاقا من أربعة خطوات أساسية هي: التبسيط والتطهير والتوفيق والاتزان.

أ- التبسيط

وهو أن المجتمع كثير التعقيد والغموض، ويصعب على الطفل إدراك ما يحدث فيه من مظاهر المدنية الحديثة، وبين أدوات العلم، ومن هنا يجب على المدرسة أن تعمل على تهيئة الظروف المناسبة التي تمكن الطفل على استيعاب وفهم هذا العالم المعقد في جوانبه المادية والفكرية، بحيث يصبح في نهاية المرحلة الدراسية قادرا على فهم المجتمع، ويكون فردا قادرا على ترقية مجتمعه، وعلى المدرسة أن تبسط للطفل تراث الأجيال السابقة والمتجسدة في النواحي المعنوية والثقافية، وبذلك تنتقل إلى الطفل الخبرة والنمو.

ب- التطهير

أما التطهير ويقصد به تطهير الخبرات السابقة من الشوائب والمعلومات غير المناسبة للطفل وتنقية المجتمع المدرسي من الرذيلة، حتى يكون أنقى من المجتمع الخارجي.

ج- التوفيق والاتزان

حيث يجب على المدرسة خلق شخصيات متزنة متكاملة، وأن تعمل على خلق اتزان بين جميع الطلبة وتكوينهم في مجتمع صغير بلا تفرقة أو طبقية.[1]

[1] سعيد إسماعيل علي: فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1995، ص 64.

3- المدرسة التقليدية

يجب علينا تغيير نظام المدرسة التقليدية؛ حيث يتفق مع نزعات الطفل الإنسانية، ويتشبع الطفل بالحيوية والنشاط، كما يجب أن يتغير هذا النظام حتى يتلائم مع المجتمع الجديد الدائم التغيير، وقد كانت المدرسة التقليدية مجرد تلقين التلاميذ مجموعة من المعلومات، وكانت تفرض جملة من الفضائل الأخلاقية كالنظام والهدوء والطاعة وغيرها، لذلك كانت المدرسة عبارة عن بناء الفصول المدرسية يجلس فيها التلاميذ ويكتسبوا مما يملى عليهم وتمتاز الكلية بالهدوء والطاعة والنظافة، وكانت المدرسة مجرد مكان للاستماع لا للإبداع ولم يكن فيها لا ورشة ولا معمل، ولا أدوات أو معدات يستخدمها الطفل في أبحاثه ودراساته.

4- المدرسة الحديثة

جاءت فكرة تغيير المدرسة من فكرة تغيير المجتمع في حد ذاته، وهو يعتبر أعظم تغيير اجتماعي واضح المعالم، وهو الانقلاب الصناعي، أي تطبيق العلم في العمل؛ وتوجيه الاختراعات العظيمة بشكل واسع، وهذا الانقلاب أحدث تغييرا في شتى مجالات الحياة.[2]

ونتج عن هذه التغيرات زيادة في الوعي والتعامل واتساع في التعرف على الطبيعة البشرية وهناك مشكلة وهي كيف يمكن أن نبقي على هذه المزايا مع تقديمها للمدارس شيئا يمثل الجانب الآخر من الحياة، وهذا الشيء هو المهن ذات المسؤولية الشخصية التي تدرب الطفل على علاقته بوقائع الحياة الطبيعية. والتدريب اليدوي للطفل يجعله أكثر نفعا.[3]

فلا ريب أن هذا الانقلاب يؤثر في التربية تأثيرا قويا بعد أن تغيرت القيم والآراء والمعاملات والنظم الاجتماعية، كما يبدو للكثير في أنه مجرد تغيير في التفاصيل أو تحسين في النظام المدرسي وهذا يدل على التطور، مثلا ديوي دعا إلى ضرورة تعلم المهن ودروس تطبيقية ومبادئ العلوم والفن والتاريخ، ويتضح من هنا تغيير الجو الأخلاقي في المدرسة وعلاقة التلاميذ بمعلميهم، وإلزامية الأخذ بنشاط التلاميذ، وكل هذه التغييرات

---

[1] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص 362.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي جون ديوي، ص ص 48- 49.

[3] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص 39.

الاجتماعية لم تكن وليدة الصدفة فحسب بل كانت نتيجة تنظيم هذه العوامل الجديدة، ومن خلال هذا يمكن أن نعطيها حقها وقدرها.

ولقد استطاعت المدرسة الحديثة أن تدرب الطفل حتى يصبح عضوا داخل الجماعة الصغيرة وتبث فيه روح الخدمة العامة وتمده بالأدوات والوسائل حتى يستطيع توجيه نفسه وبذلك يمكننا في نهاية المطاف الوصول إلى مجتمع متضافر يسوده الجمال والائتلاف[1] وللوصول إلى هذا يجب كما يقول جون ديوي في كتابه المدرسة والمجتمع "أن نجعل في كل مدرسة من مدارسنا حياة اجتماعية مصغرة".[2]

وهنا نتوصل إلى أن المدرسة الحديثة تقوم على مبادئ واقعية وعملية يمكن من خلالها الوصول إلى إحداث اختراعات هائلة بينما المدرسة التقليدية مجرد أفكار ومعلومات ومعارف متتالية.

5- المدرسة وحياة الطفل

لقد تناول جون ديوي علاقة المدرسة بحياة الطلاب، ولصعوبة ربط المبادئ العامة بأشياء ذات كيان كالأطفال الصغار مثلا؛ قدم ديوي مقررا من المادة التوضيحية من عمل المدرسة الابتدائية الملحقة بالجامعة، ولقد كان ديوي يبحث في التجارب عن التجهيزات المدرسية في المدينة؛ محاولا إيجاد كراسي ومناضد تتلاءم مع حاجات التلاميذ من النواحي النفسية والصحية والتربوية، ووجد صعوبة في الحصول عليها حيث قال أحد الباعة إلى جون ديوي إنني أخشى ألا تجد عندنا ما تريده لأنك تريد أثاثا يستطيع أن يعمل عليه التلاميذ؛ وكل ما عندنا مصنوع للإصغاء، لأن التدريس بلا كتاب ليس إلا نوعا من الإصغاء ويتبين اعتماد عقل على الآخر، والمعلم هو الذي يعطي المعلومات والتلميذ يتلقى معلومات فقط.

كما يعتمد جون ديوي في أوجه النشاط والدراسات التي يقوم عليها منهج المدرسة الابتدائية انطلاقا من ثلاث فصائل أساسية:

- الفصيلة الأولى

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي "جون ديوي"، ص 49.

[2] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص 39.

وهي تتكون من أوجه النشاط والأعمال اليدوية التي تدور حول عدد من المهن الاجتماعية؛ كالطبخ والخياطة والغزل والحياكة، ولهذا النوع من النشاط لديه قيمة جسمية وعقلية، فهو يساعد على تدريب اليد والعين والأذن ويساعد التلميذ بطريقة غير مباشرة على تدريب خياله وانتباهه وقدرته على التحكم؛ وقد ناقش ديوي في العديد من كتبه ومقالاته القيمة التربوية للأعمال اليدوية في مناهج الدراسة، ومن بين كتبه التي يناقش فيها هذا الموضوع هو كتابه "المدرسة والمجتمع"[1] ومما قال ديوي عن الأعمال اليدوية والحرف في كتابه ما يلي: "... إدخال أنواع متعددة من المهن الفعالة إلى المدارس هو أنه بواسطة هاذه المهن تتجدد روح المدرسة بأكملها وتنال فرصة لربط نفسها بالحياة وتصحيح بنية الطفل حيث يتعلم منه العيش المباشر بدلا من أن تكون مجرد محل لتعليم دروس ذات صلة بعيدة بحياة قد تقع في المستقبل... فالمهمة تجهز الطفل بدافعه الحقيقي وتعطيه خبرة مباشرة وتهيئ له الاتصال بالأمور الواقعية".[2]

- الفصيلة الثانية

وهي تتمثل في الأنشطة والدراسات التي تضمنها منهج تلك المدرسة وتربط بالمواد الدراسية التي تضمنها منهج تلك المدرسة وتربط بالمواد الدراسية التي تساعدنا على فهم الحياة الاجتماعية، كالتاريخ والجغرافيا والعلوم والفن، حيث يوجد ترابط بين هذه المواد الدراسية.

- الفصيلة الثالثة

هي أنها تعتمد على الدراسات والخبرات التي من شأنها مساعدة الطفل على تنمية قدراته على الاتصال والبحث وذلك كالدراسات المتصلة بالقراءة والكتابة والحساب، فهذه الدراسات لم توجد في منهج مدرسة ديوي كمواد منفصلة ومستقلة عن بعضها البعض بل هي متصلة بمواقف الحياة والميادين المدرسية تنبع من الحياة وتتميز الحياة الاجتماعية بالتعاون وبالعلاقات الديمقراطية المتبادلة.[3]

6- خصائص المدرسة عند جون ديوي

[1] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص ص 51- 52.

[2] نفسه، ص 52.

[3] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص ص 257- 258.

لقد تميزت مدرسة جون ديوي التربوية بمجموعة من الخصائص التي لخصها فيما يلي:

- اليوم الدراسي الطويل تتخلله فترات من الراحة بين الحصص.

- النزوع عن استخدام المادة العلمية التقليدية.

- تشجيع كل طفل على تحقيق أعلى مستوى من التحصيل الدراسي.

- النظام هو شيء جوهري وأصيل في نفوس التلاميذ وليس أمر يفرض عليهم.

- الحث على اللعب النافع الذي يجب أن يكون جزء لا يتجزأ من البرنامج الدراسي.

- التركيز على مبدأ الحرية والنشاط الفعال، وإعطاء أهمية للتعلم بواسطة المهن.[1]

7- دور المدرسة عند جون ديوي

إن المدرسة تمثل مخبر فعالية الأفكار التربوية والمحيط الاجتماعي القادر على إنتاج الإنسان الديمقراطي الأصيل، وتساعد على خلق العادات، وتفتح الآفاق الحماسية التي تعمل على نشر السلام والديمقراطية والاستقرار الاقتصادي، مثلا إدخال منهج الذكاء المنظم في المدرسة، وذلك عن طريق النشاط اليدوي.

فالمدرسة بالنسبة إلى ديوي ليست مجرد مكان يعتمد على حشو العقول بالمعلومات وتجارب الأجيال السابقة بل هي مؤسسة اجتماعية تهدف إلى إنشاء علاقة تواصل وطيدة بين الناشئة والمجتمع، فالمدرسة هي تلك الفعاليات التي تكون أكثر تأثيرا في الطفل واستخدام قواه الخاصة من أجل الغايات الاجتماعية والدعوة إلى أن تكون المدرسة مجتمعا تنتشر فيه روح الديمقراطية، باعتبارها مثلا أخلاقيا أعلى وذلك بتحقيق المطلب النفسي لاستمرار النمو والمطلب الاجتماعي حيث يربط الطفل نموه مع مجتمعه ومهمة المدرسة أن تحافظ وتعمق الشعور بالقيم المرتبطة بالحياة الجماعية، التي ينشأ فيها، كما يجب عليها أن تقوم بفحص العادات

[1] عبد الحكيم كرام: محاضرات في تاريخ التربية، ص 40.

السائدة ومحاولة تنقيتها من التأثيرات السلبية في ذهنيات الأطفال وتحرير الطفل من قيود الجماعة التي ينتمي إليها وتفتح له آفاق التفاعل وتبادل الأفكار والتجارب مع الجماعات وذلك من أجل مجتمع متوازن ومتسع.[1]

المطلب الثاني: طريقة المشروع عند جون ديوي

تعتبر طرائق التدريس من أهم العمليات الفنية التي تجمع بين أحضانها الجانب النظري والتطبيقي، وذلك بإتباع خطوات منهجية منتظمة تساعد على التعلم، فهناك طرق متعددة ومتنوعة كطريقة الحوار والمناقشة وطريقة التمثيل وغيرها إلى جانب ذلك توجد طريقة المشروع، التي تعتبر أفضل طريقة من المنظور البراغماتي والتي نادى بها جون ديوي في العملية التربوية، فما هو المشروع وما هي طريقة المشروع؟

1- المشروع

هو عمل متصل بالحياة يقوم على هدف محدد، وقد يكون نشاطا فرديا أو جماعيا وفق خطوات متتالية ومحددة.[2]

مفهوم طريقة المشروع

هي طريقة للتعلم يقوم بها التلاميذ أفراد أو جماعات لجمع المعلومات خاصة لمشكلة ما، وربط هذه المعلومات واستكمال بقية الخطوات الخاصة لحل المشكلة، ويقوم المعلم بتقديم المساعدة عند الضرورة.

ويعد جون ديوي أول من أسس فكرة طريقة المشروع التربوي، ويقصد بها أن يترك المتعلمين أمام موضوعات لدراستها من عدة جوانب، يكون الهدف منها بلورة مشكلة معينة يشعرون فيها بالرغبة في إيجاد حلول لها صلة بحياتهم الاجتماعية ويقوم المربي بتوفير الظروف التي تسمح للمتعلمين بالتفاعل مع تلك الموضوعات سواء كان العمل فرديا أو اجتماعيا.[3]

[1] جميلة حنفي: دور المدرسة في بناء الديمقراطية لدى جون ديوي، ص 35.

[2] عبد العزيز السيد: معجم علم النفس والتوجيه، الجزء 1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1984، ص 84.

[3] البرا عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 141.

كما تقوم طريقة المشروع عند ديوي على وجود مشكلة نابعة من ميول التلاميذ، ووجود هدف معين في أذهانهم يدفعهم إلى القيام بأنشطة عقلية وجسمية واجتماعية، ونشر روح الديمقراطية في المواقف التعليمية التي تؤدي إلى النمو الفردي والجماعي والوصول في النهاية إلى الحكم والتقييم.

وقد عرف بعضهم المشروع بأنه موقف تعليمي تتوفر فيه الاعتبارات التالية:

1- وجود مشكلة تنبع من ميول التلاميذ مباشرة بعد إثارتهم وإشعارهم بها.

2- وجود هدف واضح في أذهان التلاميذ، يثير فيه الرغبة الشديدة في حل المشكلات.

3- قيام التلاميذ بأنشطة متعددة عقلية وجسمية واجتماعية، وهذه الأنشطة خطة تعاون التلاميذ أنفسهم في وضعها، وهذه الخطة قابلة للتنفيذ وتعمل على سد حاجة الموقف وتحقيق الغرض أو الهدف.

4- يتميز الموقف التعليمي في جميع مراحله بجو اجتماعي ديمقراطي طبيعي، ويؤدي إلى النمو الفردي والنمو الاجتماعي.[1]

2- خطوات طريقة المشروع

يمر المشروع بعدة مراحل أو خطوات مترابطة فيما بينها، حيث تعمل كل خطوة على رعاية خاصة من قبل المعلم والمتعلم، ومدى اتساق وانسجام موضوع المشروع مع المتعلم، للوصول في النهاية إلى حكم على المشروع بالنجاح، وتتمثل هذه الخطوات في:

أ- اختيار المشروع.

ب- وضع خطة المشروع.

ج- تنفيذ المشروع.

د- الحكم على المشروع.

[1] مهند عامر: التعلم القائم على المشروع، جامعة صغار، 2015/2014، ص 13.

أ- اختيار المشروع

وهي خطة أساسية في طريقة المشروع، فنجاح المشروع يتوقف على سلامة الاختيار والذي يدل على التفكير الصحيح، ويمهد الطريق إلى النجاح ويساهم في قيمة الخبرة على أحسن وجه، حيث يتم اختيار المشروع من واقع المتعلمين ويكون متوافقا مع ميولاتهم ورغباتهم، كما يعمل على معالجة حياة التلاميذ إذ يؤدي إلى خبرة متعددة تتلاءم مع مستوى التلاميذ، ويساهم في زيادة خبرة المتعلمين وتراعي ظروف المدرسة والتلاميذ وتوفر إمكانية العمل لدى المتعلمين في المشاريع المطالبين بإنجازها.

ب- وضع خطة المشروع

يعد اختيار الموضوع وتوضيح الهدف وتحديده من طرف المتعلمين بمساعدة المعلم، يوضع تصميم يحتوي على مناقشة المشروع الذي يتم اختياره وتحديد أنماط النشاط الفردي والجماعي، التي يتطلبها المشروع والقراءات والمصادر التي تفيده، والإستراتيجيات التي يعتمد عليها في المعالجة، وفي ضوء المناقشة وتحت إشراف المعلم يتفق التلاميذ على ما يتبعون في عملهم ويضعون خطة محكمة ويبنون فيما يكتسبون أنماط النشاط التي يتفق عليها، وخطوات كل نوع منها واتجاهاته، ومصادر المعرفة اللازمة له والوسائل التي يتطلبها كل من الفرد والجماعة فيها، حيث يختار كل تلميذ النشاط الذي يقوم به حسب إمكانياته وميوله ضمن الخطة التي قام بكتابتها ورسمها.

ج- تنفيذ المشروع

وهي المرحلة التي يقوم فيها التلميذ بتنفيذ الخطة التي يتم وضعها وتسجيلها، أي تحمل مسؤولية دوره كعضو في جماعة، يتعاون مع أصدقائه لإتمام المشروع في ضوء الهدف المتفق عليه، ويهيأ المعلم الظروف الملائمة ويوجه التلاميذ على ما يعينهم على تنفيذ الخطة، دون الابتعاد عن الهدف حيث يكون المعلم مجرد مرشد ويلجأ التلاميذ إليه لمساعدتهم على حل المشكلة وتذليل الصعوبات ويوجههم ليتعلموا من أخطائهم، وفي هذه المرحلة يتحقق جانب من الشخصية المختلفة كالمهارات والميول والقدرات، ويتم توزيع النشاط على التلاميذ ليتماشى العمل مع استعداداتهم وقدراتهم.[1]

[1] حسين بن عبد السلام: فلسفة التعليم بالعمل عند جون ديوي وأهميتها في إستراتيجية الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر، ص 106.

د- الحكم على المشروع

هي آخر مرحلة في طريق المشروع، ويتم فيها ملاحظة كل مراحل العمل التربوي بتدرج وهي عملية مستمرة؛ تسمح بمعرفة الأخطاء التي تم الوقوع فيها، فهي تتطلب معالجات فردية وذلك لضمان قدر كبير من فرص النجاح، لذلك يجب أن يشمل التقويم في طريقة المشروع جملة من العوامل النفسية والمهارة، والوسائل التعليمية المستخدمة فيها، ويكون بالطريقة التي يراها المعلم مناسبة؛ لأن هدف التقويم هو الكشف عن العمل المتتبع في المشروع في كل مراحله، حتى يتوصل إلى الضروريات التي يحتاجها لسد النقائص، فلا شك أن تكون طرق التقويم متنوعة؛ من خطوة إلى أخرى حسب ما يراه المعلم مناسب، فيطرح الأسئلة الشفوية أو الكتابة أو عرض وضعيات وذلك حسب خبرة التلاميذ وقدراتهم، والهدف من ذلك إبراز ما اكتسبه التلاميذ من خبرات وذلك انطلاقا من كيفية توظيف هذه الخبرات وعرض أعمالهم الذين قاموا بإنجازها. [1]

وهي تتمثل في:

- تقسيم الخبرات التي اكتسبها المتعلمون والمرتبطة بالمهارات المتحصل عليها والوقوف على الصعوبات التي واجهت المتعلمين إثناء القيام بأعمالهم في كل خطوة من خطوات المشروع، وعرض الطرق التي تم إتباعها، وكذا مدى نجاح تلك الطرق أو فشلها.

- تبين النقص في وسائل التعليمية، وتحديد أسباب نقصها وتقديم الاقتراحات لتغطية النقص والعجز والأخطاء في الأعمال القادمة وتبعا لمستويات التلاميذ والصفوف التي ينتمون إليها.

- لا ريب أن تمثل طريقة المشروع في مراحلها إحدى أهم التطبيقات التربوية الهامة حيث تأخذ مجمل عناصرها وخطواتها مما وضعه جون ديوي في التربية، وعبر عنه بالمدرسة والمجتمع، ولهذا استطاع أن يضع أسس طريقة المشروع في التدريس.[2]

3- مميزات التعلم بطريقة المشروع

[1] نفسه، ص 106.

[2] مهند عامر: التعلم القائم على المشروع، جامعة صغار، 2015/2014، ص 14.

1- يتعود الطلبة على البحث المنظم سواء في المدرسة أو خارجها.

2- تبث الطلبة روح التعلم التعاوني، حيث يشارك فيه الكل حسب قدراته.

3- تثير في الطلبة حب الاطلاع والشعور بالمسؤولية والثقة بالنفس.

4- تساعد التلميذ على الربط بين الجانب النظري والعملي.

5- تعزيز في الطالب القدرة على العمل والنشاط الذاتي.

6- تعمل على تعديل سلوك المتعلم نحو الأفضل.

7- يعتبر المتعلم محور العملية التعليمية بدلا من المعلم، فهو الذي يختار المشروع وينفذه تحت إشراف المعلم.

8- ارتباط المواد الدراسية مع بعضها البعض.

9- طريقة المشروع تكشف عن الفروق الفردية لدى التلاميذ من خلال توفير مجموعة من الظروف.[1]

وقد عمل جون ديوي على تقسيم المشروعات إلى أربعة أنواع تتمثل في:

- مشروعات إنشائية

هي التي تتمتع بصفة علمية، وتتجه نحو العمل والإنتاج أو صناعة الأشياء مثل صناعة الزيوت النباتية أو صناعة الصابون.

- مشروعات استمتاعية

[1] زياد سعيد بركات: إستراتيجية التعلم بالمشاريع في تنمية مهارات تصميم الدراسات المتكاملة لدى طلبة الصف العاشر الأساسي فاعلية، 2013، ص 21.

وهي تتمثل في الرحلات والزيارات الميدانية، التي تساهم في خدمة الدراسة مثل زيارة المتحف للاطلاع على الآثار من طريف التلاميذ.

- مشروعات في صورة مشكلات

وتسعى إلى إيجاد الحلول لمشكلة فكرة معقدة، أو المساهمة في حل المشكلات التي يهتم بها التلاميذ.

- مشروعات مهارية (اكتساب المهارة)

تساعد التلاميذ على اكتساب مهارات علمية أو اجتماعية أو الغاية منها اكتساب مهارة أو التعرف على مهارة جديدة مثل قياس درجة الحرارة... إلخ.[1]

وقد تكون هذه المشروعات وتطبيقاتها فردية وجماعية حسب طبيعة المشروع.

4- أهداف التعلم بالمشروع

1- زيادة الدافعية لدى المتعلمين باعتمادهم على أنفسهم وتبين قدراتهم وميولاتهم وتساؤلاتهم.

2- تمتع بالاستقلالية المعرفية حيث يصبح الطلبة يتحملون مسؤولية تعليمهم وتطوير عاداتهم الذهنية.

3- تحسين مستوى التحصيل الدراسي أي يصبح الطلبة يتمتعون بمستويات عليا في التفكير.

4- وجود ترابط وتكامل بين مختلف المواد الدراسية كما يساعد على الربط بين الحياة الواقعية والمادة الأكاديمية.

5- تنويع التقويم: تبين طريقة المشروع قدرات التلاميذ والمعلمون الذين يطبقون طريقة المشروع ويتعرفون على أحوال تلاميذهم أكثر مما يقدمه لهم طريقة اختبارات الورقة والقلم، وتتميز المشاريع التي تقدم لهم من بعض التلاميذ ضعيفي المستوى في الاختبارات التحصيلية أو المشاركة الصفية، ويجدون في المقابل بعض المتفوقين في

[1] عبد الله قلي، فضيلة حناش: التربية العامة، ص 102.

الاختبار ويقدمون نشر مشاريع متواضعة وإتباع وسائل متنوعة في التقييم تقدم تقديما شاملا حول التلاميذ ويبرز المتفوقين في القدرات المختلفة وليس في التحصيل فقط.

6- إزالة القلق فالطالب الذي يخاف الخطأ عندما يركب جملة كإجابة على سؤال المعلم في طريقة المشروع له الحرية مما تساعده على إزالة القلق.

7- المتعلم معلم الآخرين فالطالب عندما يقدم مشروعه أمام الصف ليصبح معلما صغيرا يشرح أفكار لزملائه تزداد ثقته بنفسه وزملائه به.

5- عيوب طريقة المشروع

- تحتاج المشروعات في تنفيذها إلى تكاليف باهظة وأجهزة وإمكانات بشرية قد لا تتوفر في المدارس.
- تحتاج المشروعات إلى كفاءة فنية مدربة لديها كفاءات ومهارات وهذه الكفاءات غير متوافرة في الواقع بدرجة كبيرة (معلمين مبتكرين).
- قد يكون المشروع الذي تم اختياره مشروعا عديم الجدوى وقليل الأهمية وتكون تكلفة الإنفاق عليه أكبر من الفوائد التي تنتج منه.
- تحتاج المشروعات في تنفيذها إلى وقت وجهد وهذا لا يتناسب مع الخطط الدراسية بالموضوعات الدراسية.

6- مزايا طريقة المشروع

- يكون المتعلم في ظل هذه الطريقة نشطا وايجابيا.
- الانتقال إلى التعليم المتمركز حول المتعلم بدلا من التعليم المتمركز حول المعلم.
- تعمل على ربط المتعلم بالحياة ومشكلاتها وتنمي فيه القدرة على حل المشكلات وتنمي لدى المتعلم القدرة على الإنتاج والابتكار.[1]

خلاصة:

نخلص في هذا الفصل إلى أن "جون ديوي" وضع جملة من الشروط حتى لا يختلط الأمر على المربين في الاعتماد على التفكير باعتباره منهجا تربويا، بحيث لا يعتمد المربون على أخطاء المنهج التقليدي الذي يتميز بضعف النشاط العملي وغيرها؛ حيث كان هدف التربية التقدمية تنمية الخبرة، وذلك من خلال خلق ترابط بين الأنشطة التربوية وما يحيط بواقع التلميذ ويتناسب مع قدراته، لهذا فإن المنهج الذي اتبعه "جون

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص ص 163-164.

ديوي" يعتمد على الأسلوب العلمي، كما دعى إلى ضرورة المشاركة في الفعل التربوي، بحيث يعمل المتعلم على جملة من النشاطات التي ينمي فيها قدراته ويوسع خبراته كما اعتمد على طريقة بناء مدرسة المجتمع الحاضر المتطور والمتقدم علميا، كما سعى إلى جعله قادرا على التكيف مع متغيرات المجتمع، ويملك روح الديمقراطية بإعطاء الفرص للجميع، وهذا ما جعل "جون ديوي" يدعو إلى الاعتماد على المواد والموضوعات الدراسية ووسائل وطرق وأنشطة التلاميذ وهذا أهم ما يميز هذه الطريقة في التدريس في المدرسة التقدمية، ولما كانت المدرسة هي المعمل الذي يتم فيه ترجمة الأفكار التربوية وجعل كل ما يقوم به يعتمد على حياة المتعلمين، ولا يبتعد عن ظروف الحياة التي يعيشونها، تلك التي يطلق عليها "جون ديوي" مدرسة المجتمع، حيث تختلف في الأنشطة والموضوعات وتمتاز بالجانب العملي، إذ يعطي أهمية كبيرة للأعمال اليدوية وطريقة المشروع والمنهج التربوي الجديد الذي يعتمد على التفكير والأسلوب العلمي بناه ديوي على الخبرة التفكيرية والذكاء، حتى يتمكن المربي من بلوغ الأهداف التي يرسمها، والمتمثلة دون شك في بناء مجتمع يواكب التطورات والتغيرات التي يشهدها العصر.

تمهيد:

عاش "جون ديوي" رائدا في الفكر والتربية؛ وكان فيلسوفا بالغا في الأهمية ومازال، ولكن لم يمنعه الفكر من النظر إلى الواقع ومحاولة تغييره وتجديده، وهذا من خلال مجالات الفلسفة التي تؤثر في الفرد مباشرة كونه كائن اجتماعي وسياسي وكائن أخلاقي ولهذا حاولت من خلال هذا الفصل شرح فكرة ديوي في هذا المجال أي تطبيق التربية كفلسفة واقعية أداتية وهذا من خلال رؤيته للأخلاق وكيف ربطها بالطبيعة الإنسانية وكيف رأى الخير وكيف جعل من الأخلاق اجتماعية واقعية ليست مجرد أخلاق مثالية تتعالى عن الإنسان وحاول ديوي ربط الأخلاق بالواقع؛ من خلال المواقف المعاشة وكيف يمكن إصلاح الأخلاق من خلال التربية ومن ثم نتعرف كيف جعل ديوي من الديمقراطية والتربية، حيث شرح الأفكار التي نطوي عليها المجتمع الديمقراطي وشرحها وتطبيقها على مشاكل التربية، وبهذا أعرضت على الإصلاح الاجتماعي عند "ديوي" لأن هذا كان سعيه من خلال صرحه الفكري، وتناولت رؤية ديوي للمجتمع وتأثيره في الفرد وكيف جعله محك كل النظريات والأفكار التي تسعى إلى تطوير الفرد وهذا أهم ما قدمه ديوي كتطبيق لنسقه التربوي ولقد وصل ديوي إلى ذروة الشهرة لأنه ارتقى بجدارة لمرتبة الفلاسفة العظماء ولهذا كانت له امتدادات كبيرة ابتداء من تلاميذ إلى كل قارئ لكتبه، وسنتعرف على امتداداته في كل أنحاء العالم، ورغم هذا الصدى الذي تلقته أفكاره إلا أنه لم يسلم من الانتقادات والرفض من بعض المفكرين.

فما هي أهم تطبيقات التربية عند جون ديوي من خلال الأخلاق والديمقراطية؟ وكيف سعى ديوي إلى الإصلاح الاجتماعي؟

وما هي أهم امتدادات فكره التربوي؟ وما أهم الانتقادات التي وجهت إليه؟

المبحث الأول: التربية الأخلاقية والسياسية والاجتماعية عند ديوي.

المطلب الأول: الأخلاق عند ديوي.

لقد كان جون ديوي عالما في فلسفة التربية، حاول بجدارة التجديد فيها لأجل الرقي بالإنسان من كل نواحيه الاجتماعية النفسية والأخلاقية، ولقد عمل ديوي على هذه الأخيرة فلقد جعل من الأخلاق حجر الزاوية في نسقه التربوي فكيف ينظر ديوي إلى الأخلاق؟ هذا ما سنتعرف عليه في هذا السياق.

يتوقف تفسيرنا للسلوك الإنساني تفسيرا سليما على فهمنا للطبيعة الإنسانية، وللعوامل الاجتماعية المختلفة التي تشترك معها في تكوين هذا السلوك وتوجيهه، وتعدد الرؤى الأخلاقية يرجع إلى تعدد الرؤى إلى الطبيعة الإنسانية ولذلك كان أمرا في غاية الأهمية أن نعمل على تنمية علم الطبيعة الإنسانية بالاعتماد على الواقع والعلم الحديث ولعل "جون ديوي" قد أسهم إلى حد كبير في تنمية العلم الأخلاقي،[1] ويعتبر كتابه "الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني" كتابا في الأخلاق؛ بالإضافة إلى مناقشته للأخلاق في الفصل العاشر الذي يأخذ عنوان "بناء الخير" في كتابه "البحث عن اليقين"؛ الذي كان عبارة عن محاضرات ألقاها في سلسلة محاضرات "بيفورد" عام 1921 وفي كتاب الأخلاق كتبه ديوي بالاشتراك مع الأستاذ "جيمس هايدن تفتس" نشر عام 1908 وتقع بقدر كبير سنة 1932.[2]

والأخلاق بالنسبة لديوي هي أكثر الموضوعات إنسانية وإحسانا ورحمة، إنها أمس شيء بالطبيعة الإنسانية وأوثقها صلة ولكنها عند ديوي وعلى نحو لما يمكن استئصاله تجربة اختيارية وليست لاهوتية ولا ميتافيزيقية ولا حسابية، وكما أنها غير منفصلة أو معزولة إنها معرفة للطبيعة مادية بيولوجية تاريخية موضوعة في محتوى إنساني تنير وتوجه مناشط الناس.[3]

---

[1] جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة: لبيب النجيحي ، مؤسسة الخانجي فران كلين، القاهرة، 1964، ص81.

[2] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص520.

[3] رالف ن وين: قاموس جون ديوي للتربية، ص153.

إن الأخلاق في اللغة جمع خلق وهو العادة والطبع؛ والمروءة والدين وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم فكر وتكلف، فغير الراسخ من الصفات لا يكون خلقا.[1]

وإذا كان الخلق عادة فالعادة كما يقول "جون ديوي" تحتاج إلى تعاون بين الكائن الحي وبيئته، فلا تستطيع تصور تكوين عادة من العادات دون أن يكون هناك فرد إنساني من ناحية وبيئة محيطة من ناحية أخرى،[2] لأن الأخلاق عند ديوي إنسانية تنبع من صميم الحياة،[3] إن العامل الأخلاقي جزء ذاتي من مجموعة القوى الاجتماعية المعقدة كل التعقيد والتي نسميها ثقافة،[4] فليست أخلاقا متعالية مثالية تنحصر في الفرد فقط، وكما باقي العلوم يمكن تكون الأخلاق بحثا علميا موجها ومضبوطا،[5] أن "ديوي" يعارض القيم المطلقة التي توصي بالسلوك إذ ينبغي أن تكون القيم خاضعة للتعديل باستمرار، وإعادة البناء بالرجوع إلى الظروف الاجتماعية والمعرفة العلمية فينتقد "ديوي" الفلاسفة التجريبيين المحدثين الذين يتهمهم بالتوحيد بين القيم وبين ما يرغبه أي شخص في لحظة ما.[6]

إن المشكلة الأخلاقية تظهر حين تتعارض قيمة مع أخرى، وحين نشعر بهذا التعارض شعورا يستدعي ضروبا من الاهتمام والإيثار وصراعا في السيول والانفعال وعندئذ يوجد "الموقف الأخلاقي"، لقد عرف ديوي الأخلاق من الناحية العملية هي التقاليد وهي العادات الجماعية المقررة وتأثير التقاليد في العادة والعادة في التفكير وهنا يأتي الموقف الأخلاقي،[7] الذي يستدعي إيثار غاية على أخرى وتصبح المشكلة مشكلة قيمة، ما هي طبيعة القيم المرغوب فيها، وما لابد للفرد منا أن يحكم به، هذه هي في جوهرها المشكلة الأخلاقية.[8]

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص49.

[2] جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص2.

[3] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي- ،ص125.

[4] جون ديوي: الحرية والثقافة، ص14.

[5] جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص02.

[6] رايم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص520.

[7] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي- ، ص127.

[8] كفاء يحي صالد العسكري: الغزالي وجون ديوي، ص137.

لقد عرف ديوي "القيمة" في بحثه "البحث عن اليقين" بأنها المناهج التي تنتج عن الفعل الذكي، أن جوهر المشكلة الأخلاقية السلوك الذي يتجهه نحو الأجدر طبقا لأحكام قيمة حيث لا تكون القيم موضع النظر معارضة تعارضا يحتاج إلى إيثار ونظر، وقد تحل الموقف طبقا لما تمليه علينا الدوافع الحيوانية وعندئذ لما كون حل أخلاقا ولا يسئ صاحبه رجلا فاضلا وإنما الرجل الفاضل هو الذي ينظر في الميزان الذي يزن به الأعمال أحسنة أم قبيحة، ولا يكفي أن يكون سلوكه موافقا لميزان معروف، بل لابد من امتحان هذه الموازين ونسمي جل الفاضل الذي له صفات الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة وينظر "ديوي" لهذه الصفات الذهبية من وجهة موقفه الأخلاقي أنها مظاهر مختلفة لموقف واحد لهذه الصفات ليست فضيلة قائمة بذاتها بل هي مناهج تتجه بالمرء نحو السلوك.[1]

في عام 1920 أصدر "جون ديوي" كتابه "التجديد في الفلسفة" يقول: إن العمل الذهني في القرن الذهبي العشرين فيما يتعلق بالعلم الحديث هو على النحو التالي: "يجب أن تتكون الأفكار الجديدة والمناهج المحلية في مجال الحياة الأخلاقية والاجتماعية فهل يأخذ على عاتق العمل الذهني خلال القرن العشرين القيام بهذه الخطوة الأخيرة؟ عندما تؤخذ هذه الخطوة فإنه ستكتمل حلقة التطوير العلمي ويتم التجديد في الفلسفة".[2] وهو يقصد إمكانية تطبيق المنهج التجريبي على الأخلاق كما يطبق على العلوم الطبيعية. "وإذا ما طبق المنهج التجريبي على الأمور الأخلاقية جعل خيرية كل صفة يقال عنها أنها خير تقدر بحسب ما تؤدي عليه من تحسن في أحوال الأدواء والشرور التي يعانيها الناس في الوقت الحاضر.[3]

ويقول في كتابه "إعادة البناء في الفلسفة" في الفصل "إعادة المفاهيم الأخلاقية" (كان تأثير تبدل مناهج التفكير العلمي وتغييرها على الأفكار الخلقية واضحا... تحولت القواعد الخلقية إلى مبادئ وتعدلت هذه المبادئ إلى مناهج الفهم والإدراك).

لقد بدأ اليونان في البحث عن الأخلاق على أساس عقلي بدلا من انتهاجها من العادة وبالتالي العمل الرئيسي للنظرية الخلقية خبر واحد نهائي محدد؛ والارتباط بهذا المبدأ هو سبب الخلافات بين المدارس

[1] تشارلز موريس: رواد الفلسفة الأمريكية، مؤسسة شباب الجامعة ، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيمي، 1996، ص113.

[2] أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، ص127.

[3] نفسه، ص127.

الفلسفية التي ظهرت،[1] فيقول "ديوي" بهذا الصدد (إن تأثير التغيير الذي حدث في مناهج التفكير العلمي على الأفكار الأخلاقية واضح جلي في جملته، فقد زادت ضروب الخير، وتعددت الغايات والأهداف وتغيرت القواعد الجزئية فصارت مبادئ عامة فأصبحت طرفا للفهم ذلك أن النظريات الأخلاقية نشأت بين الإغريق على أنها محاولة منهم لإيجاد نظام يسير عليه الإنسان في الحياة يقوم على أساس من العقل)، ولا يكتفي "ديوي" باستعراض آراء الفلاسفة الإغريق التي فصلت بين العالمين السفلي والعلوي والتي تهدف إلى الوصول إلى قيم العالم العلوي وعدم تحقق هذه القيم جعل الإنسان يعيش متمزقا لا يوفق بين العالمين،[2] وهذا ما اصطلح عليه "ديوي" في كتابه "التربية والديمقراطية" الداخلي والخارجي يقول: (وأول عقبة نلاقيها في شيوع الفكرة الأخلاقية التي يجعل الفعالية قسمة بين عنصرين متعارضين يسميان في كثير من الأحيان بالداخلي والخارجي أو الروحي و المادي).[3] إن هذه المشكلات الكاذبة تنبع في نظر "ديوي" من اعتبار المعرفة نظرا وتأملا وذلك ما يعارضه بمذهبه "الأداتي" أو الوظيفي، إن فاعليتنا الخلقية لا توجهها فكرة جاهزة ومسبقة عن الخير الخلقي بل لا على الأقل ثلاثة مبادئ من أصل متمايز الخير منصورا على أنه غاية أو قاعدة الواجب وتقدير الغير ومن هنا كانت المشكلات الأخلاقية تنبع من ضرورة التوفيق بين هذه المبادئ الثلاثة ومن اليسير التعرف على قدر من الهيجلية التي اعتنقها "ديوي" في بادئ الأمر.[4] لقد أبقى ديوي في موقفه الأخلاقي على كثير من أراء "توماس هل جرين" والفلاسفة المثاليين الهيجليين الجدد بالإضافة إلى أنه يثني على انتباه المدرسة النفعية والسلوك في الأخلاق إلى نتائج الأفعال،[5] إذ يقول في كتابه "الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني": (ولقد جعل النفعيون أيضا من الخير والشر والصواب والخطأ مسائل خاصة بالخبرة الواعية وأنزلوها بالإضافة إلى ذلك إلى الأرض إلى الخبرة اليومية).[6] غير أنه يعتقد أن المعيار الأخلاقي لا يمكن أن نستغني عن الدوافع الشخصية،

---

[1] جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص145.

[2] كفاد يحي صالد العسكري: جون ديوي والغزالي، ص129.

[3] جون ديوي: التربية والديمقراطية، ترجمة: منى عرفاوي، زكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط2، 1953، ص358.

[4] إيميل برييه: تاريخ الفلسفة الحديثة، ج7، ترجمة طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص ص164،165.

[5] ولم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ص520، 521.

[6] جون ديوي: الطبيعة البشرة والسلوك الإنساني، ص303.

ويرفض ديوي أي قائمة للفضائل لأنه سيعهد بهذه القائمة إلى العادات وتصبح مخدرا للتقدم،[1] إن ديوي يعرف الخير على أنه (يتضمن معنى نمارسه وينتمي إلى نشاط ينتهي فيه الصراع والتعويق للدوافع والعادات المتعارضة المختلفة بتحرر موحد ومنظم لهذه الدوافع والعادات ويظهر في العمل وهذا الخير الإنساني هو إنجاز يتوقف على التفكير ويتوصل ديوي إلى أن ليس المطلوب هو معرفة الخير كانت تقتبس من الكتب... وإنما هي شيء تتوصل إليه بالتربية في آماد متطاولة من الزمان وهي النعمة التي أنعمتها عليها الخبرة الناضجة في الحياة).[2]

وبالتالي المصدر الأساسي للقيم الأخلاقية هو الخبرة والتجربة والمجتمع والعمل الأخلاقي هو الذي يساعد الفرد على النمو متكامل وعلى النهوض بالمجتمع وحل مشاكله وعلى تحقيق المصلحة العامة.[3]

وبالتالي تكون الأخلاق ثمرة العمل والإنسان باعتبار كائن طبيعي ينمو ويتطور ولكن هناك فرق بين ما هو طبيعي وما هو أخلاقي، فالطبيعي يتعلق بما حدث وكيف حدث والتغير الذي يحدث للأمور الطبيعية يتم بتغيير الظروف المحيطة بها. وكذلك في الأمور الأخلاقية، لكنها تتعلق بالمستقبل لا بما حدث في الماضي. والمشكلة الأخلاقية تقوم في كيفية تعديل الظروف التي تؤثر لأن في النتائج المستقبلية وإذا شئنا أن نغير خلق شخص فعلينا أن نبدل الظروف الموضوعية التي تتدخل في عاداته وخلقه.

وبهذا يمكن أن تصبح الأخلاق علمية ما دامت تخضع لقياس موضوعي حين نقيس الظروف الموضوعية، وما دمنا نستطيع تغييرها كما نصنع الظواهر الطبيعية ونركبها.[4]

ولقد قدم "ديوي" من خلال هذه الأفكار البناء التربوي على الرابط الوثيق بين الأخلاق والتربية لأنه دعا إلى أخلاق عملية ليس نظرية كما هو الحال في التربية التقليدية، ويرى "فندلاي" بأنه بهذا أحدث ثورة فكرية جديدة غزا بها الميدان التربوي والذي رأى أن المبادئ الأخلاقية في التربية تمثل ما كان ينتظره المدرسون في إنجلترا. ويرى أن "ديوي" قدم نظرتين للأخلاق نظرة نفسية وأخرى اجتماعية فأما الأولى ركزت على

---

[1] وليم كلر رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص521.

[2] كفاء يحي صالد العسكري، الغزالي وجون ديوي، ص130.

[3] عبد الحكيم كرام: محاضرات في تاريخ التربية، ص35.

[4] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي- ، ص ص130،131.

السلوك في إطار ضيق مما جعله يعجل بالنظرة الثانية أي الأخلاق الاجتماعية حيث يظهر الإلمام بالسلوك في ترابط الجانبين.[1]

ويقول "ديوي" (أن الحكم الأخلاقي والمسؤولية الأخلاقية هما العمل الذي تخلقه البيئة داخل أنفسنا، هاتان الحقيقتان معناهما أن كل الأخلاق اجتماعية)، وإذا كان مستوى الأخلاق منخفضا فمرجع هذا إلى التربية الناتجة عن التفاعل بين الفرد وبيئته تربية ناقصة.[2]

يعتبر القول بأن التربية "إعداد النضج" الغاية النهائية للنمو قولا متناقضا وإذا كانت العملية الأخلاقية للكبار والصغار تعني تنمية الخبرة فإن عملية التعلم المكتسبة من المجتمع تعد على درجة كبيرة من الأهمية، حين تتحقق وحدة العملية الأخلاقية بعملية النمو تصبح العملية التربوية أفضل وسائل التقدم الاجتماعي.[3]

المطلب الثاني: الديمقراطية والتربية عند ديوي:

إن كلمة الديمقراطية تبدو مألوفة لدى جميع الناس، حيث عرفت كثيرا من الانتشار وبذلك شهدت كثيرا من التطور والازدهار منذ العصر اليوناني إلى يومنا هذا، كما أن الديمقراطية لم تبقى حبيسة الفكر السياسي فقط وإنما تعدت تلك الحدود وأصبحت الديمقراطية تمثل أحد مبادئ التربية حيث أنها استعملت كأسلوب في الحياة عند الكثير من المفكرين الحديثين من بينهم "جون ديوي" فما هو معنى الديمقراطية بصفة عامة؟ وما معنى الديمقراطية عند "جون ديوي" بصفة خاصة؟.

1-تعريف الديمقراطية لغة واصطلاحا:

أ-اللغة: هو لفظ مؤلف من لفظين يونانيين "ديموس" ومعناه الشعب، والأخر "كراتوس" ومعناه السيادة ومعنى الديمقراطية إذن سيادة الشعب.[4]

---

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص ص100- 101.

[2] جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص ص 331-332.

[3] جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة، ص160.

[4] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص569.

ب–أما الديمقراطية اصطلاحا: هي حالة سياسية تكون فيها السيادة للمواطنين كافة بلا تمييز على أساس المولد والثروة أو القدرة.[1] ومن خلال هذا يتبين أن الديمقراطية مصطلح سياسي بدرجة أولى.

أما "ديوي" فقد عرف الديمقراطية "بأنها حكومة الشعب للشعب وبالشعب"،[2] كما تعتبر الديمقراطية أسلوب حياة وليست مجرد تطبيقات سياسة كما كان يعتقده الفلاسفة في العصور القديمة لذلك يقول "جون ديوي" ليست الديمقراطية مجرد شكل للحكومة، وإنما هي في أساسها أسلوب من الحياة المجتمعية، والخبرة المشتركة المتبادلة.[3]

2–الصلة بين التربية والديمقراطية عند جون ديوي:

لقد حاول "جون ديوي" في كتابه "الديمقراطية والتربية" مناقشة الصلة بين التربية والديمقراطية في جميع تفرعاتهم وجوانبهم المختلفة، وتطرق إليها في بعض كتبه الأخرى التي قدم فيها أفكار تربوية مثل كتاب "مدارس المستقبل"، "المدرسة والمجتمع"، "عقيدتي التربوية"، "الثقافة والحرية" وغيرها.

إن "ديوي" لا يعتقد بأن الديمقراطية هي نظام الحكم الأمثل مقارنة مع غيرها من أنواع الحكم الأخرى، فهي أحسن ما تيسر لدى الإنسان من شكل سياسي، وإذا كان "ديوي" يعتبر أن التربية ضرورة للحياة، فإن الديمقراطية ضرورة للحياة الحديثة، أو على حد تعبير "ديوي" الحياة الحديثة تتطلب ديمقراطية، ومن هنا يمكن القول بأن لفظ التربية والديمقراطية عند "ديوي" تشتركان في نفس العملية وهي الحياة، ومنه أصدر أن إيمانه بالديمقراطية لا يقل شأنه عن إيمانه بالتربية.[4] ويرى "ديوي" أن الديمقراطية تمثل فلسفة التربية الصحيحة الشاملة فهي تمثل الهدف والأسلوب معا، فالمعلم الجيد يربي بالأسلوب العلمي والسعي إلى تحقيق الأهداف الديمقراطية في حياة المجتمع، وتلتقي الديمقراطية مع التربية في نظر "ديوي" في وجود علاقة تداخل ومنفعة متبادلة بينهما لأن التربية الطريق الأمثل لنشر قيم الديمقراطية في المجتمع، كما أن الديمقراطية الأسلوب

[1] أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ص259.

[2] محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ص225.

[3] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص49.

[4] محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ص215.

الأحسن للعمل التربوي السليم، فلا وجود للديمقراطية دون اعتماد على عمل المربين المحكم، كما أنه لا منفعة للتربية بلا ديمقراطية.[1]

وهناك من يعتبر أن الديمقراطية هي نوع من النظام السياسي السائد في مجتمع من المجتمعات حيث أنه يعمل على ضمان الحريات الأساسية للأفراد والجماعات، وهذا ما يسمى بالنظام الديمقراطي، لكن "ديوي" يرى بأن الديمقراطية هي أسلوب في الحياة الاجتماعية أكثر منها شكل من أشكال الحكومة، واعتماد الترقية الديمقراطية على التربية أمر طبيعي لأن عمل المدرسة الديمقراطية هو إيجاد أشخاص يمتلكون عقل تجريبي، ويتمتعون بروح تعاون في القيام بأعمال جماعية تتوافق مع قيم الديمقراطية. كذلك يجب أن تكون الديمقراطية ثقافة اجتماعية يؤمن بها الأفراد ويسيرون وفق مبادئها وهذا لا يتحقق في وقت وجيز، وإنما يتطلب عمل تربوي طويل حتى يمكن للديمقراطية أن تثبت في أذهان الأفراد والجماعات بصفة اختيارية ودون فروض وقيود من القوات العليا، فعلى المجتمعات العربية كذلك أن تسعى إلى بناء العقل الديمقراطي والديمقراطية هي تحرير العقل للعمل المنتج المستقل بحيث يؤدي وظيفته على أنه عضو له كيانه وفرديته، ولا تعود ديمقراطية المدرسة في نظر "جون ديوي" إلى مهمة الإشراف على المدرسة من طرف رجال وهيئات غير متخصصة وليس لها نظام أو فكرة عن نظم المدارس، وهذا ما ينتج عنها احتكار حرية الابتكار من المعلم، وجعل البيئة غير ملائمة لنمو القوى العقلية للمتعلم رغم وجود المجهودات المبذولة والوسائل المتوفرة في الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك.[2]

ولحل مشاكل المدرسة يجب أن تزرع روح الديمقراطية في الذين يشرفون على شؤونها من رجال لأن هذا يؤدي إلى نشر روح الابتكار والإبداع والمناقشة والقدرة على التقييم والحكم بين رجال المدرسة، وهذه المنافع يكون لها صدى بين المعلم والتلميذ معا، ومن شروط زرع روح الديمقراطية في المدارس أن تجعل الطفل يفهم أن المدرسة هي مكان للتعاون وليس للتنافس لأن الديمقراطية تقوم على شرطين أساسيين وهما:

في كونهما طريقة للحياة وتتطلب من الإنسان روح التعاون اليومي بين الأفراد لأننا نجد "ديوي" في مختلف أفكاره يؤكد على العمل الجماعي المثمر.

---

[1] بومان محمد: الثورة الكوبرنيكية في التربية عند جون ديوي، جامعة الجلفة، الجزائر، ص210.

[2] نفسه، ص ص 12-13.

3-أسس الديمقراطية:

لقد كانت الديمقراطية في الفكر التربوي "الديوي" تقوم على جملة من العوامل هذه بعض العوامل:

1-الحرية: لقد تميزت مدرسة "جون ديوي" وغيرها من المدارس الحديثة بأنها تقوم أساسا على مبدأ الحرية، غير أن مشكلة الحرية تعتبر من أهم المشكلات الميتافيزيقية التي تناولها الفلاسفة قديما، فهي غامضة وصعبة في حد ذاتها، ولكن "ديوي" لم يتطرق إليها من وجهة ميتافيزيقية لأنه لا يعترف بالميتافيزيقا مطلقا وهو ينصرف عن الأفكار المجردة والمتعالية، وإنما يتناول الحرية وأثرها على التربية، فما المقصود بحرية التعليم في التربية عند "جون ديوي"؟.

من المعروف أن الطرق التربوية في المدرسة التقليدية كانت لا تعطي للطفل الحرية، كانت تعتمد على الإجبار والضغط والإكراه فقط، والمعلم هو بمثابة القائد والسيد، أما المتعلم مجرد متلقي للمعلومات فقط. أما في المدارس الحديثة أصبح هناك نوع من الحرية حيث أن المعلم مرشد وموجه فقط، إلى درجة أن المعلم أصبح يمثل عضوا في جماعة يعمل مع التلاميذ في تأدية وظيفة اجتماعية.[1]

2-الاهتمام: عرف "ديوي" الاهتمام بأنه عملية خلاقة، موضوعية، شخصية، فالاهتمام الطبيعي الخلاق يتخذ دائما وجهة معينة، حيث يرى أن النفس ترغب بالاستمرار، إلى غاية معينة ومن ثم يركز المهتم على الشيء الذي ألهمه فقط.[2] ويرى بعض الباحثين والدارسين أن فكرة الاهتمام ليست من أصول "ديوية" وإنما أخذها عن "بيري"، دون أن يشير إلى ذلك وتبين ذلك من الناحية التاريخية ونجد أن "ديوي" نشر "نظرية في التقييم" عام 1939 أي بعدما نشر "بيري" "نظريته في القيمة" بثلاثة عشر عاما، ووقع جدل بين "بيري" و"ديوي" حول وجهتي نظرهما إلى القيمة على أساس الاهتمام فالفيلسوف "بيري" يرى أن "ديوي" يبتعد عن الفكرة التي تدافع عن القيمة، تجسيد معاني الاهتمام وذلك لأنه يرجع إلى نوع القيمة الفردية في الخبرة التي لا تقبل التجديد، أما "ديوي" فيوجه انتقاده إلى نظرية "بيري" لأنها تنظر إلى الاهتمام بعيدا عن سياقاته الوجودية، وهي بذلك تضيع كل الاهتمامات لمستوى درجة واحدة، وهذا ما يجعل أن للقيمة عند "جون ديوي" معنيين فالمعنى الأول: يقصد به تقدير الشيء، واعتباره مستحقا للاهتمام من حيث هو أي من أجل

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي-، ص ص 62- 63.

[2] محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ص ص260-261.

ذاته. وهذا ما نطلق عليه بالخبرة التامة الكاملة. أما المعنى الثاني: هو مبني على عمل فكري متميز أي عمل الموازنة والحكم أي أن الاهتمام يقوم على تحديد قيمة له.

إن غاية "ديوي" من الاعتماد على فكرة الاهتمام وجعلها عنصر هام من عناصر التربية من قناعته بأنه يمكن للتربية أن تستفيد من علم النفس، أي من خلال منح الفهم الصحيح لطبيعة الطفل وقدراته، ومن هنا سعى "ديوي" إلى بناء العمل التربوي على الموازنة بين الناحية الاجتماعية والنفسية، وذلك لأن التربية هي إعادة بناء مستمر للخبرة لما يجب أن تشوه شخصية الطفل وتلغي اثر البيئة الاجتماعية، ودورها في نمو خبرته، لذلك فإن الهدف من الاهتمام عند "ديوي" يكمن فيما يقود إليه في الخبرات الجديدة التي يجعلها في حيز الإمكان، وفي القوى الجديدة التي يميل إلى تكوينها ومن ثم يجب علينا أن نؤول دوافع الطفل وعاداته. مما لا ريب فيه أن التربية التي تقوم على أساس الديمقراطية، لديها فاعلية قوية في استخدام فكرة الاهتمام أو عامل الاهتمام لأنه أداة ضرورية في تبليغ رسالة اجتماعية، لكن يبدو أنه تظهر قيمته القصوى في ارتباطه بالجانب الأخلاقي الذي يعد الركيزة الأساسية في بناء ديمقراطية المدرسة.[1]

المطلب الثالث: الإصلاح الاجتماعي عند ديوي من خلال التربية:

بالرغم مما تتصف به البراغماتية من الفردانية وإعلاء قيمة الفرد وحريته إلا ان الأداة التي جاء بها "جون ديوي" في الفلسفة التربوية تتسم بنزعة اجتماعية، كما يعتبر الكثير من المفكرين والفلاسفة بأن تفسير "ديوي" الاجتماعي للتربية من أكثر اسهاماته تميزا في نظريته التربوية، فما هو الإصلاح الاجتماعي؟ وكيف اعتمد "ديوي" على الإصلاح الاجتماعي في فلسفته التربوية؟

يعتبر "ديوي" أن هناك مدرستين للإصلاح الاجتماعي حيث تعتمد أحدهما على أن الأخلاق تنبع من حرية داخلية من شيء سري محبوس داخل الشخصية، وتؤكد هذه المدرسة على أن الوسيلة الوحيدة لتغيير المؤسسات وهي أن تعمل على تطهير قلوبهم وعندما يتم هذا يتبعه التغيير في المؤسسات من تلقاء ذاته، أما المدرسة الأخرى فهي تنكر وجود مثل هذه القوة الداخلية، ولهذا تدرك أنها تنكر كل حرية إنسانية، وأنه حتى تتغير المؤسسات لا يمكن عمل أي شيء من الواضح أن هناك آراء تترك النتيجة دون أمل كما يفعل أي تطلع ينتج عن الرجوع إلى الصواب لأنها لا تقدم لنا أية مساعدة لتغيير البيئة.[2]

[1] محمد جديدي: فلسفة الخبرة جون ديوي، ص162.

[2] جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص33.

1-التربية وسيلة الإصلاح الاجتماعي:

أثبت "ديوي" أن التربية هي الوسيلة الوحيدة والأساسية للإصلاح الاجتماعي والذي تم إنجازه من طرف المدرسة، لأنها الوسط الاجتماعي الرئيسي لغرس الأخلاق الديمقراطية في ذهنية الأطفال وسلوكاتهم، وهذا ما يجعل مبدأ تكافؤ الفرص حقيقة فعلية يستفيد منها الجميع دون تمييز، وهذا ما يؤكد أن أهمية التربية خاصة من كونها عملية اجتماعية تكسب الفرد أنماط السلوك العقلي والعاطفي التي تؤهله حتى يشارك الجماعة في فعاليتها المختلفة ويتواصل معها أي عمل يرتبط بالجماعة، وتمثل المدرسة بالنسبة له خير الأفعال والأفكار التربوية في المحيط الاجتماعي الرئيسي القادر على انتاج الفرد الديمقراطي الأصيل وعلى إبداع عادات وخلق آفاق كمحاسبة تحقيق عادات السلام والديمقراطية والاستقرار الاقتصادي، علما أنه ليس كل نظام تربوي قادر على إحداث نظام تربوي جذري، يجعل التربية أكثر قدرة على قيادة المجتمع وتوجيه أعماله وحل المشكلات التي تولد غاية التقدم العلمي والتقني.[1]

2-التربية في البيئة الاجتماعية:

ولكي تكون التربية مقصودة يجب أن تعمل على تطوير الفرد، بحيث يتماشى هذا النمو مع مقتضيات الحاجة الاجتماعية، فإن ما تهدف إليه التربية بالدرجة الأولى هو مراعاة ما يكون للبيئة الاجتماعية من أثر في تكوين العادات اللغوية، واكتساب الآداب الاجتماعية، والقدرة على امتلاك الذوق السليم وتقدير الجمال وكل هذه الأمور تسمح بالانسجام والاتفاق بين أفراد المجتمع، وهذا ما أشار إليه "جون ديوي" في قوله: "إن وجود المجتمع لا يدوم بالنقل والاتصال فحسب. ولكن يصح أن نقول أن وجوده متضمن في "النقل والاتصال"، والاتصال هو وسيلة الأفراد من أجل التفاهم أو الاشتراك في خبرات وإحراز الأشياء التي تؤلف في مجموعها من جماعة الأفراد أو مجتمعنا وهي الأهداف والعقائد والمصالح المشتركة، كما تلعب اللغة دورا هاما، إذ تعد الأداة التي تتيح انتقال عادات الجماعة في الفكر والعمل من جيل لآخر، ولا شك أن "ديوي" ظل يسعى في هذا الاتجاه الاجتماعي الواسع الذي يقحم التربية في كل مشاكل المجتمع، وهو بذلك يحقق للمدرسة الصورة الاجتماعية الحية، ويكون بذلك المدرسة الحديثة، وهي صورة أصيلة لحياة المجتمع الفعالة بدل أن تكون مكانا منعزلا يجري فيه تعليم الدروس.

[1] حنفي جميلة: دور المدرسة في بناء الديمقراطية لدى جون ديوي، ص35.

كما صور لنا "ديوي" النموذج الاجتماعي للمدرسة معتقدا بأن المدرسة مؤسسة اجتماعية أولا وقبل كل شيء، ولما كانت تعتبر التربية عملية اجتماعية، فإن المدرسة فهي بمثابة الحياة الاجتماعية، التي تعتمد على جميع العوامل والجهود وتتعاون على تربية الطفل وتؤهله من الاشتراك فيما ورثه العنصر البشري، وعلى جعله قادرا على استخدام كل قدراته وملكاته ومواهبه في خدمة المجتمع.[1]

المبحث الثاني: الفلسفة التربوية الديوية في الميزان.

المطلب الأول: امتدادات فلسفة التربية البراغماتية في العالم من خلال المربي جون ديوي:

إن القارئ لأحداث التطور التربوي في العالم المعاصر ابتداء من الفترة العشرين لا يمكنه أن يتجاهل ذلك الأثر الذي تركته فلسفة "ديوي" التربوية على التربية الغربية والعربية. وذلك من خلال الكثير من المربين في العديد من دول العالم بما فيه العالم العربي.[2]

1-امتداد فلسفة التربية الديوية في العالم الغربي:

إن لأفكار "ديوي" تأثير بالغ على مجال التربية في العالم الغربي، وهذا ما نلتمسه من خلال الكثير من المربين المعاصرين في مقدمتهم تلامذته ("راندال"، "إيدمان"، هوك راتز"، وغيرهم) وبهذا يمكن اعتبار أن "ديوي" صاحب مدرسة ومذهب فكري في الفلسفة والتربية وعلم الاجتماع وعلم التاريخ، ولعل أكثر المتأثرين به هو "وليام كلباتريك"، الذي شرح معظم أفكار أستاذه "ديوي" التربوية، وكما قام "جوزيف راتز" بجمع عدة مقالات لأستاذه ونشرها في مجلد بعنوان "العقل في العالم الحديث" كما عمل "هوك" بمراجعة معظم مؤلفات "ديوي" قبل طباعتها، وكل هؤلاء ساهموا بقدر كبير في إيصال معالم فلسفة "ديوي" التربوية، وكذا نشرها في الكثير من البلدان، ويرجع هذا الاهتمام إلى الأمريكيين عموما بنظم التربية في أوروبا بعد الثورة الصناعية من خلال مكتب الولايات المتحدة الأمريكية للتعليم إذ منذ 1868م وهو يهتم بشر التقارير والدراسات والإحصائيات عن نظم التعليم في البلاد الأجنبية لتستفيد منها أمريكا في تطور نظمها فرحلاته إلى أوروبا لا

[1] جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص37

[2] سعيد إسماعيل علي: فلسفات تربوية معاصرة، ص131.

تخرج عن هذا الإطار حيث سافر إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وتركيا والإتحاد السوفييتي سابقا، الذي كان فيه أهم نشاط مارسه "ديوي" خارج مجال التربية والتعليم.[1]

2-امتدادات فلسفة التربية الديوية في العالم العربي:

في أواخر القرن التاسع عشر حدثت حركات إصلاحية في الوطن العربي نبهت الشعوب العربية بالتطورات التي عرفتها الحضارة العربية. فكانت بداية الاهتمام بنتائج التربية البراغماتية من خلال العمل بالتخطيط التربوي حيث يتم ربط الخطة التربوية بنواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية لكل مجتمع، وهي تلك الرؤية التي أبانت على فعاليتها في البلدان المتقدمة، كما حاولت البلدان العربية بناء سياستها التربوية على مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم، ومنحته قيمة كبيرة للتعلم الفني والمهني، فصدر في لبنان قانون ينص على ذلك سنة 1968م. وحدثت أيضا في السعودية إنشاء مدارس متوسطة للإعداد الفني في نفس السنة.[2]

كما كان لفلسفة التربية البراغماتية الأثر العميق على رواد التربية العربية، ففي مصر ظهر العديد من الرواد من بينهم "إسماعيل القباني" الذي تأثر "بجون ديوي" من خلال إطلاعه على تجاربه البراغماتية التربوية وأبدا إعجابه به، ولذلك عمل جاهدا من أجل مسايرة مصر نفس التطور الذي أحدثته التربية التقدمية، وفي هذا يقول الأستاذ "إسماعيل القباني" كان لفلسفة التربية أثر كبير في تطور نظريات التربية في القرن العشرين وكانت أهم العوامل التي أثرت في التوجيه حركة التربية الحديثة أو التربية التجديدية أي التقدمية، وفي هذه الحركة التي اتخذت من مبدأ التربية عن طريق النشاط شعارا لها.[3]

حيث كان مسرح الأحداث هو معهد التربية الذي أنشأ عام 1929م والذي عمل فيه الأستاذ (إسماعيل القباني) حيث اطلع على تجارب البراغماتيين التربوية واستخدم الأساتذة والخبراء وحث التلاميذ على ترجمة بعض الكتب التي كتبها البراغماتيون حول التربية، وخاصة الكتب التي كتبها "جون ديوي" حتى أصبح صوت "ديوي" يعلو كل الأصوات في ساحة التربية في مصر.[4] ومن جملة العوامل التي ساعدت على انتشار

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي–، ص29.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص 167.

[3] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي–، ص65-66..

[4] سعيد إسماعيل: فلسفات تربوية معاصرة، ص105.

الفكر التربوي الجديد في مصر هي إنشاء إدارة البحوث الفنية والمشروعات عام 1955م ومركز الوثائق التربوية سنة 1956 م. والتي كانت تعتبر دافعا قويا لبداية التجريب والبحث في أمور التربية وساهمت في التعديل الجوهري في نظم التربية ومناهجها في مصر، وامتد ذلك إلى كل البلدان العربية بحكم المعاهدات والاتفاقيات بينهما أن الدارس للفكر التربوي المصري منذ ذلك الوقت يستطيع أن يلتمس المكانة التي خطى بها "جون ديوي" من خلال ترجمة عدد كبير من كتبه إلى اللغة العربية، ولم يقتصر هذا على رجال التربية فقط بل شارك في ذلك عدد كبير من أساتذة الفلسفة، ولعبت مؤسسة أمريكية التي يطلق عليها "فرانكين" دورا هاما في سبيل نشر الفكر الأمريكي، والتي اختلت المنطقة رغم انتشار المد الاشتراكي في مصر، كانت المدارس النموذجية مثل "النقراشي" و"الأورمان" هي بمثابة المخابر التي أجريت فيها تطبيق الآراء والأفكار التربوية البراغماتية، ويظهر هذا من خلال ما تحمله كتب إسماعيل القباني مثل "دراسات في مسائل التعليم" والتربية عن طريق النشاط" وكل هذا يبين طموحه في ركب معالم التربية التقدمية، التي وضعها "جون ديوي" في هذا الإطار يشير "عبد الفتاح المنياوي" في عرض مقدمته لكتاب "مدارس المستقبل" ديوي حينما أكد أن "إسماعيل القباني" أنشأ عام 1932م. مدرسة ابتدائية جديدة تختلف عن المدارس التقليدية في مصر.

ويصل عبد الفتاح المناوي "إلى أن هذه المدرسة التجريبية هي بمثابة الدم الجديد الذي يسري في عروق المربين والمتعلمين، وهو يعطي الأهمية الكبيرة إلى جانب العملي في التربية وهو ما أثمرته نتائج ناجحة منذ تأسيس المدرسة إلى يومنا هذا.[1]

بناء على ما سبق، دعى رجال التربية في مصر وعلى رأسهم الأستاذ "محمد يوسف" وزير التربية والتعليم آنذاك بالاهتمام والعناية بالمدارس التجريبية، لما لها من نتائج قيمة في كثير من المجتمعات وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، مما يعني أن التربية في الوطن العربي بدأت تمهد طريقها إلى التربية التقدمية وأصبح روادها مستوعبون للمبادئ التي جاء بها "ديوي" إذ حاولوا تطبيق بعض منها بما يناسب الوضع الاجتماعي الراهن وبما ساعد على تغييره، وإدراك القائمون على التجربة في مصر بأهمية المدرسة التجريبية التي أسسها "إسماعيل القباني" وحاولوا عزل الفصول التجريبية على معهد التربية الذي أسس عام 1923م عن طريق وزارة المعارف العمومية، حيث تم ذلك سنة 1939م. أي سبع سنوات بعد إنشاء المدرسة التجريبية، وأطلق عليها اسم جديد "المدرسة النموذجية" وكان من وراء هذا التقديم للمدرسة ومازالت موجودة فجعل "المدارس

[1] صالح عبد الغني عبود: في التربية المقارنة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1974، ص538.

النموذجية" متميزة وهو الذي يدعوا المتعلمين على الإقبال عليها ويحثهم على الابتعاد عن كل ما يرتبط بالتربية التقليدية.

إن الأستاذ "القباني" حاول تقديم جملة من الموضوعات الدراسية الجديدة في صورة تحمل التطور الذي بلغته المناهج التربوية وتطبيقاتها الناجحة في الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يتجاهل الحالة التي عليها الواقع العربي عموما، فعمل على تكييف تلك الأفكار التربوية الجديدة بما يناسب وتطوير التربية وإيمانه العميق بضرورة عمل يساعد على الخروج من مرحلة التخلف والجمود في تلك الفترة التي شهدها العالم العربي، بعدما أنشأت مدارس "ابتدائية نموذجية" ثم إنشاء مدارس "ثانوية نموذجية" منها المدرسة النموذجية الثانوية بحدائق "القبة" وهي مدرسة "النقراشي" الثانوية، كما أنشأت مدرسة "الأورمان" النموذجية الابتدائية وكل هذه المدارس تعتمد على التربية العملية، وتتبع الطرق التقدمية القائمة على طريق النشاط أو العمل.[1] حيث كانت تضم كل مدرسة التلاميذ حسب أعمارهم ومستوى تحصيلهم للذكاء والقدرات الذهنية والاهتمامات العامة والخاصة للتلاميذ، وهي نفس المقاييس التي كانت تعتمدها المدارس الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية.[2]

ويظهر تأثير التربية البراغماتية على المدارس العربية من خلال تركيبة الفصول فيها وارتكازها على تنمية القدرات العقلية وخاصة الذكاء، فإن التأثير يبدو جليا من خلال المناهج الدراسية التي اعتمدتها، إذ سعى الأستاذ "القباني" على ربطها بالواقع الاجتماعي واحتياجات البيئة، ففي هذا يتبين التوجه الجديد الذي يهرب من المناهج التقليدية والذي يعتمد على ما تحتويه الكتب والمقررات الدراسية والمعارف النظرية المجردة، والتي تعمل عن طريق المشروعات التي تقودهم إلى البحث والعمل في الكثير من الأماكن التي تحيط بهم كأن يخرجوا إلى الحدائق ومكاتب البريد والمستشفيات ومحطات القطار وغيرها، فيتمكنوا من اكتساب مهارات يدوية ومعرفية، وبفضل تلك المناهج الجديدة يعتمد على الجوانب العملية التطبيقية أكثر من ارتكازه على النواحي النظرية. إن التربية التي سعى إليها الأستاذ "إسماعيل القباني" من خلال المدرسة "النموذجية" التي أنشأها، محاولا إعطاء صورة تربوية جديدة التي تنطلق من ميولات المتعلمين وقدراتهم ومواهبهم، ويعتمد على طريقة المشروعات والأنشطة المدرسية توافق المحيط الاجتماعي للمتعلمين إذا ما أجريت مقارنة بين ما وضعه "جون ديوي" من معالم تربوية جديدة وبين ما قدمه "إسماعيل القباني" لوجدنا تقاربا كبيرا بينهما كما آمن "القباني"

[1] صالح عبد الغني عبود: في التربية المقارنة، ص ص176-177.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص179.

وغيره من رجال التربية بالمثل العليا التي نادى بها "جون ديوي" من الحرية وتكافئ الفرص والتربية الاجتماعية والعمل بالأسلوب العلمي والنشاط العلمي ومن هنا حاول شق الطريق في ميدان التربية في العالم العربي.

ومن مصر إلى العراق حيث نجد رجال التربية في محاولة تجسيد ملامح التربية التقدمية، من خلال التشريعات والقوانين التي تسعى إلى تفسير المناهج وتحديثها، في مجالات التعليم العام والتعليم المهني وتكوين المعلمين، لجعل النظام التربوي العراقي يتصف بالمعايير التقدمية والتركيز على ديمقراطية التعليم، ومتابعة التجديدات التربوية العالمية وتجريبها ميدانيا مع ما يناسب البيئة العراقية وتعميمها في ضوء نجاحها.[1] كما بدأت رغبة رجال التربية في العراق "منذ مطلع القرن العشرين في بلوغ ما بلغته التربية التقدمية من خلال الاتجاهات الرئيسية للسياسة التربية، التي عملت على رسم أهدافها للوقوف في وجه المشكلات التي تواجه النظام التعليمي العراقي عن طريق أسس علمية متطورة تلاءم التقدم الذي عرفته المناهج التربوية، وهذا الإصلاح التربوي يبدو في صورة من خلال اعتمادها على جملة من المبادئ التربوية الديمقراطية، والسعي إلى مدرسة المجتمع وجعل الأنشطة الدراسية المرتبطة بقضايا الحياة ومعالجتها، ولكن عدم النجاح أو تحقيق الغايات يرجع إلى مجموعة من الظروف السياسية والاجتماعية التي تجبر كل مجتمع وتحدد توجهاته أدرك القائمون على التربية من خلال المؤتمرات المختلفة حول أوضاع التربية والتعليم على أن الإطلاع على ما قدمه رواد التربية البراغماتية أصبح ضرورة ملحة تساعد على إصلاح المناهج في الوطن العربي، تلك المؤتمرات بينت لهم التقدم الذي وصلت غليه التربية الحديثة في مناهجها وطرق تدريسها.[2]

المطلب الثاني: انتقادات الفكر التربوي عند جون ديوي:

كان لـ"جون ديوي" نسق فلسفي يرتقي للفلاسفة العظماء، ولكن وإن لقي صدى في كل أنحاء العالم إلا أنه تلقى رفض وانتقادات، ولقد تعددت الآراء بشأن تقييم آرائه التربوية فمنهم من عده أقدر فيلسوف أنجبته أمريكا مثل الأستاذ "هارولد لارابي" ومنهم من ذهب إلى الحكم بأنه ترك أثرا ضارا في التربية الأمريكية وهو الرأي الذي يتبناه " هـ-ج-ريكوفر".[3] ولهذا وجب الوقوف على أهم المواخذات التي أخذت عليه فما هي أهم الانتقادات التي وجهت إليه؟

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص181.

[2] صالح عبد الغني عبود: في التربية المقارنة، ص177.

[3] محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، ص266.

البداية مع توجه "جون ديوي" الفلسفي في تصوره للتربية التي جعلها أداة في سبيل المنفعة وبالتالي لم يضع في اهتماماته القضايا التي ليست لها نتائج عملية واستعدادها من دائرة القضايا الصحيحة.[1] كما أنه يعرف التربية بأنها (التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة، الذي يزيد في معناها، وفي المقدرة على توجيه مجرى الخبرة التالية) .[2] إن ديوي يرفض أن تكون التربية علما بتراث الماضي أو إعدادا للمستقبل، وكما أنها لا تخضع إلا للخبرة ولكن تراث الماضي جزء من شخصية الفرد كما أنه جزء من شخصية الأمة وهناك أمور لابد من تعلمها من جملة الحياة، وديوي ينتقد المفكرين الانعزاليين عن الواقع ورغم هذا يلقي المتعلم فقط في أحضان الخبرة، وهذا أدى إلى الاستخفاف بالماضي وقيمة التراث القديم في المدارس الحديثة، مما جعل الأمريكيون أنفسهم يعارضون مثل هذه النظريات، لأن في هذا انقطاع لصلة الإنسان بماضيه وبالحضارة الإنسانية.[3]

أما بالنسبة لمفهوم الخبرة نفسه يحمل غموضا كبيرا، إذ كان "ديوي" يقر أن تكون الخبرة شيئا ذهنيا أو فيزيائيا فمن الصعب تصور كيف يمكن للخبرة أن تستمر بذاتها في الكون بدون أن تكون خبرة ذهن معين أو أذهان تمتلكها، وافتراض أن خبرة ما تكون متضمنة داخل عدد من الأذهان يتضمن نوعا من المثالية التعددية ولا يوجد أي شيء في كتابات ديوي يحتوي ميوله إلى هذه المثالية، حتى أنه يمكن استبعاد مثل هذه الفرص في حال فرضنا أن كل خبرة تكون متضمنة بداخل ذهن واحد فتكون مثالية مطلقة مثل مثالية رويس ويرفض ديوي هذه المثالية طبعا، ولكن نحن نعرف أن بدايته كانت هيجليا جديدا، أي من أنصار المثالية المطلقة، ولقد ظن بعض منظري "ديوي" أنه أبقى على غفلة منه على كلمة "خبرة" في مفردات لغته اللاحقة على رفضه المطلق أي أنه كان بصورة تنطوي على مفارقة "فيلسوفا مثاليا مطلقا لم يعد يعتقد في المطلق" وهذا بسبب استخدام فردا صالحا في المجتمع، ولا يمنع هذا أن نراعي أثناء تعليمه ميولاته ورغباته وحاجاته النفسية، رغم أن هذا من الأمور التي تحمد في فلسفته.[4]

---

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص189.

[2] جون ديوي: الديمقراطية والتربية، ص79.

[3] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي–، ص66.

[4] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص529.

لقد أوضحنا أن الطفل سوف يتعلم عن طريق الخبرة وفقا لديوي، وأن التربية والنمو شيء واحد، وأن النمو هو غاية التربية وليس لها غاية أخر وراء ذلك، غير أن هذا الفرض وهم من الأوهام لأن الطفل يتعلم في المدرسة والمدرسة ليست جزء من المجتمع لا بل من دولة لها سياسة معينة وفلسفة خاصة، وبالتالي لا حيلة للطفل إلا أن يجري مع التيار ولهذا تختلف التربية بين الدول لاختلاف أنظمتها.[1]

إن كل معنى الخبرة والتربية جاءت ضمن التربية التقدمية التي واجهت معارضة شديدة من قبل الكثير من المربين المحافظين ومن أتباع المذاهب والنزاعات التربوية التقليدية كأتباع المذهب الواقعي والمذهب المثالي واتباع الحركة الأساسية بالإضافة إلى الكثير من المحافظين الذين يميلون إلى الأساليب التربوية القديمة واشتد النقد في أواخر الأربعينيات وفي أوائل الخمسينات وهذا بسبب عدة عوامل أهمها الأزمة الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك.

لقد أخذ ديوي مناداته بتربية شخصية للطفل ككل، وفي هذا توسيع لمسؤوليات المدرسة بما قد تجعلها تعتدي على مسؤولية غيرها للمؤسسات التربوية والاجتماعية وبما قد يجعلها غير قادرة على الإيفاء بمسؤوليتها،[2] بهذا تكون الاستمرارية بين المدرسة وغيرها من التنظيمات الاجتماعية صعبة المنال ولتبلغ المدرسة والمجتمع التي تطمح لها التربية الديوية فإن هذا يتطلب إمكانيات مادة وبشرية كبيرة جدا، وحتى الطريقة التربوية القائمة على المقاربة بالكفاءات (خاصة طريقة الشروع) تقتضي تكاليف مادية ومتطلبات إدارية ليست في متناول المدارس العادية وهي الأكثر انتشارا.[3]

لقد جعل "ديوي" ميول التلاميذ أساس اختيار المعارف والخبرات المدرسية وتنظيمها،[4] وهذا يضعف مستوى التعليم ويغيب الجانب التنظيمي في النظام التربوي، إذ لا يعقل أن يسير النظم المدرسي أو حتى المربي وفق أهواء التلاميذ دون ضوابط فعلية وتوجيهية.[5]

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي–، ص ص67،68.

[2] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص ص366،367.

[3] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص191.

[4] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص368.

[5] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص191.

ومما يؤخذ عليه مبالغته في تأكيد وحدة المغرفة لدرجة تقلل من شأن الترتيب المنطقي للخبرات المدرسية ومن قيمة تقسيم المعرفة إلى فروع ومواد مختلفة ومن قيمة التخصص الذي أصبح أحد متطلبات العصر وأخذ عليه عدم إعطائه للمواد الأكاديمية ما تستحقه من الاهتمام، والتركيز على الطريقة أكثر من تركيزه على المحتوى.[1]

لقد أكد الكثير من علماء التربية على أن "ديوي" أهمل الجانب السيكولوجي للطفل في التربية وركز على الجانب العملي النفعي أي ما ينفع هو خير وملا لا ينفع فهو شر رغم إشارته لأهمية الجانب النفسي.[2]

وهناك شكوى أخرى متكررة وهي أن "ديوي" ركز تركيزا على النشاط في ممارسته التربيوية المقترحة، أما كونه ركز على النشاط فإن هذا صادق بالتأكيد ولكنه هو نفسه قام بنقل بعض المدارس التقدمية على أساس أن التأكيد كان متزايدا بدرجة كافية على النشاط بدلا من التركيز على النشاط البارع أو الخلاق مما يؤدي إلى مطابقة الحرية على موضوع الإشباع المباشر للدوافع والرغبات التي يعترض عليها ديوي.

وهناك شكل آخر من أشكال النقد وهو أن "ديوي" ركز على العلم أدى إلى أهمية إدخال العلوم الإنسانية في التربية،[3]يعطي ديوي في بعض الأحيان انطباعا أنه فيلسوف طبيعي وربما لا أدري، بالمعنى الذي يكون به "هربرت سبنسر" فيلسوفا طبيعيا ولا إدريا ويبدو باستمرار أن "ديوي" يعني أن الخبرة لا تحدث إلا عندما يتفاعل كائن حي مع بيئته، ويبدو أن "ديوي" يكتب في أحيان أخرى كما لو كان فيلسوفا وضعيا، بوجود بعض نقاط التشابه مع "كونت" و"جون ستيوارت ميل"، وإذا فسرنا "ديوي" هكذا فإن موقفه يكون شيء من هذا القبيل، إن كل ما نعرفه هو الخبرة ومن العبث أن نسأل ماذا يوجد عدا ذلك إذ لن يوجد أي شيء على الإطلاق.[4]

وتوجد الكثير من الانتقادات فيما كتبه المربون الأساسيون وعلى رأسهم "ويليام باجلي"، وفيما كتبه المربون المثاليون ومن أشدهم نقدا لأفكار ديوي هو "هيرمان هورنيه" في كتبه والتي منها كتابه "فلسفة التربية"

[1] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، 369.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص195.

[3] تشارلز موريس: رواد الفلسفة الأمريكية، ص200-201.

[4] وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ص529-530.

وكذا كتاب "وهذه التربية الجديدة". وقد كان كتابه الأخير بمثابة شرح وتعليق على كتاب ديوي الشهير "الديمقراطية والتربية".[1]

ويبدو مما سبق أن ما قدمه ديوي في التربية ما هو إلا تعبير عن الواقع المجتمع الأمريكي، دون مراعاة القيم الاجتماعية الأخرى والأنظمة السياسية التي تخالف التوجه الرأسمالي، وعلى الرغم من ذلك فإن أغلب الاعترافات التي واجهت أفكاره التربوية برزت بشكل مباشر في الولايات المتحدة الأمريكية، ومثلما ثار ديوي على التربية التقليدية بحجة الجمود والعقم، كانت ثورة بعض رجال التربية الأمريكيين عليه بحجة أن التربية الديوية قتلت الثوابت وأزالت القيم، والتي لم يصبح لها أي معنى في المجتمع الأمريكي فهي تنكر القيم الثابتة التي هي أساس المعايير الخلقية،[2] ولقد قيل أحيانا أن فلسفة ديوي الأخلاقية برفضها تأسيس القواعد والأهداف الثابتة من أي نوع تشبه مجموعة من الشباب يقومون برحلة ممتعة يقولون "إننا لا نعرف إلى أين نذهب لكننا سائرون في الطريق!".

وحتى أنه تم استغلال مبادئ الحرية والديمقراطية استغلالا سيئا، حتى أثر على الجانب الثقافي للمتعلمين وبهذا توجهت النظرية إلى اعتبار التربية تقوية للعقل على تكوين ثقافة داخلية خاصة به.[3]

وعندما نأخذ فلسفة ديوي ككل فإننا نراها فلسفة ذات توجه قيمي مكرسة لإبراز وتوجيه الخبرة الإنسانية، ومن المرجح أن يكون التفسير الصحيح لفلسفة ديوي العامة الخاصة بالخبرة هي أن نقول أنه مختلف أتم الاختلاف عن البدائل التي افترضناها من قبل، كأن نقول أنه لمي يهتم بالمشكلات البعيدة التي اهتم بها كل الفلاسفة العظام قبله تقريبا.

وليس مهما عنده أن نقرر هل هو فيلسوف مثالي أو فيلسوف طبيعي أو فيلسوف لا أدري أو فيلسوف وضعي، إذ قادته بيئته في الغرب الأوسط العملية أثناء السنوات التي أخذت فيها الفلسفة في صورتها

[1] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص369.

[2] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص192.

[3] وليام كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص521.

المحددة على أن ينتج، حيث يجب على الفيلسوف أن يحصر نفسه في مشكلات تتصل بكيفية إحداث مجتمع أفضل.[1]

لقد كان ديوي فيلسوفا إنسانيا، وكانت حياته كلها عبارة عن محاولة مدعمة لكي يجعل العلم والصناعة إنسانيتين قابلتين لتحويلهما نحو غاية إنسانية.[2]

إن إسهامات ديوي التي قام بها والتي خولته بأن يندرج بين فلاسفة عصره العظام لم تكن في الميتافيزيقا ولكن في ميادين الفلسفة الأخرى، لقد أدخل روحا جديدة على الفلسفة الحديثة لا تقدر بثمن، عن طريق اقتراحاته لإصلاح التربية وتوضيحه لمثل الديمقراطية، ومواجهته الشجاعة لصعوبات الحقبة الحالية التي يعوقها قصور العادات والتقاليد.[3]

ولهذا انجرى كثير من الكتاب التربويون دفاعا عن "ديوي" من الهجمات والانتقادات التي وجهت إليه منذ أن ظهر على العالم بأفكاره التربوية التحررية في أواخر القرن الماضي وقد كان من بين الذين دافعوا عن "ديوي" من الكتاب التربويين المحدثين.

"أدوارد باور Edward Power" و"جون وين Jhone Wynne" و"ريتشارد ميلر Richard Miller" ومن الأسس التي اعتمد عليها هؤلاء في دفاعهم هو أن الكثير من منتقدي "ديوي" ينتمون إلى مذاهب محافظة ولهذا ليس غريبا انتقاداتهم للفلسفة التقدمية، ومن جهة أخرى فقد حمل ديوي وزر الحركة البراغماتية بأكملها، وللكثير من الراغماتيين لم يكن لهم أي صلة بديوي بالإضافة إلى سوء فهم "ديوي" وخلطها بأفكار غيره من أتباع الحركة التقدمية، ولهذا الانتقادات غير مبررة فيما يخص التربية التقدمية المتطرفة وليس لها ما يبررها بالنسبة لأفكار "ديوي" وحتى هو نقد تطرف هذا التيار، وبالتالي ليس من الإنصاف أن ننسب له تطرف هذا التيار وهو ناقد له.[4]

---

[1] وليام كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص522.

[2] تشارلز موريس: رواد الفلسفة الأمريكية، ص203.

[3] وليام كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص530.

[4] عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، ص ص370-371.

ومن جهتنا نرى أن المنطلقات التي تعتمد عليها التربية الديوية رغم ما فيها من عيوب لابد من أخذ محاسنها التي لازالت ترسم بصماتها حتى الآن، ومؤلفاته التي تملأ مكتبات العالم خير دليل على إسهامه الكبير في ميدان التربية، ولهذا وجب الاستفادة من هذا النسق التربوي العظيم،[1] إن "ديوي" خلق صرح في ميدان التربية لازال قائما إلى يومنا هذا.

[1] البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، ص193.

خلاصة:

إن المنطلقات التي اعتمدتها التربية الديوية لا تتوافق مع عقائد وثقافات الكثير من المجتمعات. إلا أن لها أهمية بالغة ومفيدة في حاضرنا ومستقبلنا ، وهي التي وضعت بصمتها التربوية التي لا يمكن جحدها في أي ظرف من الظروف، ولعل ما خلفه "ديوي" من آثار ومؤلفات يثبت لنا مدى إسهاماته في ميدان التربية والتعليم، كما فيها الكثير مما يسمح الاستفادة منه في منظومتنا التربوية إذا أحسنا استغلالها وفهمها وتطبيقها لأننا نعيش في عالم، يسوده التقدم والتطور العلمي والتكنولوجي، ويمكن الاستفادة مما قدمت التربية البراغماتية في الميدان التربوي وذلك بالاعتماد على الأسس العلمية والتركيز على أهم دعائم تقوم عليها المجتمعات من إيمان بروح الديمقراطية والقيم الأخلاقية حتى يتحقق الإصلاح الاجتماعي في شتى أنحاء العالم، فيجسد مبدأ الديمقراطية والأخلاق وبذلك يضمن تربية المجتمع ويجعل الحياة حرة ويعتمد على الاحترام وقبول الرأي الآخر، حيث كانت الأخلاق والديمقراطية غاية التربية التقدمية مما جعل الكثير من المربين في القرن العشرين يعلون من قيمة المتعلم، فالتربية التقدمية هي التي تمكننا من الاستفادة من طرقها ومناهجها الدراسية، أما فيما يتعلق بمنظوماتنا التربوية في العالم العربي فيمكن الاستفادة مما قدمته التربية التقدمية وجعلتها مرجعية فلسفية لمنظومتنا التربوية على أن نكيفها مع ما يلاءم ثقافتها وطابعها الاجتماعي، حيث تأخذ منها ما يساعدها على التطور وتجاوز الطرق التقليدية والتوجه نحو الأساليب الجديدة والمتطورة والعلمية لتسمح لها من الخروج من دائرة التخلف.

خاتمة

في خاتمة البحث استطعنا أن نخلص إلى أهم النتائج التي بنى عليها ديوي فلسفته التربوية ومعالمها وتطبيقاتها، وأهم تأثيراتها في العالم الغربي والعالم العربي كما بينا رؤيته البراغماتية والأداتية في التربية بكل ميادينها ومناهجها ووسائلها وطرقها وهذا من أجل إحداث التغير في الواقع وبناء المجتمع الذي يتكيف أفراده مع كل التغييرات التي تطرأ عليه؛ ومواكبة التطورات التي أحدثها التقدم العلمي والصناعي؛ وهذا ما أكد لنا أن أفكار "ديوي" في التربية نابعة من حياته ومجتمعه إلى ضرورة بناء التربية الديمقراطية على أسس علمية، وأن ما قمنا به في هذا البحث أدى بنا إلى الوصول إلى نتائج مختلفة ومتنوعة، ولقد توصلنا على رغبة ديوي المصرة في بناء المجتمع المعاصر الذي يتماشى والتطورات التي أنتجها التقدم العلمي والتكنولوجي وإصراره على اختيار أفكاره الفلسفية، ومن ثم إعادة بناء التربية على الأسس الفلسفية البراغماتية، كما تطرقنا إلى معارضته الشديدة لمختلف الفلسفات المثالية والنظريات التربوية القديمة حيث اعتمد على منهج قوي أكثر من أنه اعتمد على المنهج المعرفي، كما بين الجانب المنهجي والأثر السلبي في النظرة الميتافيزيقية التي شملت كل مجالات الحياة في مجال التربية والتعليم كما دعى إلى ضرورة ترك تلك النظرة واستخدام المنهج البراغماتي، كما بين العيب الذي وقعت فيه النظريات التربوية القديمة وهي اعتمادها على المثالية المجردة التي أفرزت لنا مجتمعا يعيش على الأوهام والخرافات أكثر مما يعيش في واقعه. كما أن نظرة ديوي للتربية هي نظرة فلسفية والتي تعلن عن رفضها للفلسفات التقليدية التي تعتمد على التوصية والتلقين وهذا الإلغاء يبين لنا أن فلسفة ديوي تتميز بالتغيير والتجدد والاستمرارية وهذا ما جعلنا لا نفرق بين نظريته في التربية ونظريته الفلسفية حيث جعل كل منهما في حركة مستمرة، لأن الطريقة البراغماتية تربط بين الأفكار وما تحققها من منافع ولقد وجدناه أفضل من استخدم منهجه في موقفه من النظريات التربوية السائدة حتى يكيفها على الطريقة البراغماتية الأداتية وأحسن استغلالها وهذا ما ساعده على بناء معالم تربوية جديدة بحيث تتناسب وظيفة الفرد والمجتمع والواقع.

كما أن النمط التربوي الذي اعتمده ديوي يعتبر ثورة على النمط التربوي التقليدي حيث أصبح النمط التربوي الجديد يقوم على أساس جعل المتعلم محور العملية التعلمية وهو بذلك قد استفاد من الطريقة البراغماتية التي قدمها أعلام التربية قبله كما دعى إلى الاعتماد على نشاط الطفل في التربية مع مراعات ميولاته ورغباته وقدراته، كما يسمح له بممارسة حريته قصد إتمام الذكاء لديه حتى يستطيع مواجهة التغيرات التي تحدث في المجتمع.

كما رأينا أن هذا التوجه الجديد يقوم على أساس المنفعة والفائدة وبين لنا أهمية تحديد الأهداف التربوية وكذلك التعليم بالعمل والنشاط، والهدف المنفعي وراء ذلك حتى يساير أساليب التعلم والواقع المتغير من خلال جعل الأنشطة تتناسب وميولات ورغبات وقدرات المتعلم، كما يعتمد على طريقة المشروع؛ الطريقة التي تحقق التربية بالنشاط وتبين التوجه العلمي والعملي من خلال خطواتها وشروطها ومميزاتها. وبهذا تحقق طريقة المشروع آثار عملية نافعة للمتعلم كما توصلنا إلى أن طريقة المشروع رغم ما حققته من نتائج قيمة في التربية والتعليم إلا أنها واجهت جملة من الاعتراضات والدليل أنها لم تطبق في كل المدارس اليوم لعدم توفر الوسائل والهيئات العاملة على ذلك، كما أنه ما تطمح إليه التربية التقدمية هو الإصلاح التربوي الذي يواكب التغيرات العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتطورة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها إلا أنها تعرضت إلى جملة من الانتقادات والاعتراضات.

لكن ما تركه ديوي من مؤلفاته في شتى مكتبات العالم وأثره على المنظومات التربوية في العالم الغربي والعربي أثبتت أن فلسفة التربية عنده ستظل رائدة عند الكثير من المربين وهذا من أجل بلوغ التربية الديمقراطية التي تتماشى وتطورات العلم ويحدث بذلك الإصلاح الاجتماعي في المجتمع والمحافظة على القيم الأخلاقية في التربية والتعليم كما أن من أجل بلوغ الأهداف والغايات المرسومة لابد من الإطلاع على ما فلته السابقون وذلك مثل ما تركه ديوي، في مجال التربية إذ علينا الإطلاع عليه والتأمل والتفكير وتنقيته من الشوائب والاستفادة منه حيث نستطيع أن نخرج من التخلف والظلام إلى بوتقة التطور والتقدم.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

قائمة المصادر:

1– جون ديوي: الحرية والثقافة، ترجمة: أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، الإسكندرية، 2003.

2– جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2010.

3– جون ديوي: التربية والديمقراطية، ترجمة منى عرفاوي، زكرياء ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، 1953.

4– جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة محمد لبيب النعيجي، مؤسسة الخانجي، فرانكلين، القاهرة، 1964.

5– جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن رحيم، دار مكتبة الحياة، لبنان، ط2، 1989.

6– جون ديوي: المنطق نظرية البحث، ترجمة زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.

قائمة المراجع:

الكتب:

1– إبراهيم ناصر: فلسفات التربية الجامعة الأردنية، عمان، ط2، 2004.

2– إبراهيم مصطفى: نقد المذاهب المعاصرة، ج1، دار الوفاء، الإسكندرية، 1999.

3– أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي –جون ديوي–، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1986.

4– إميل برييه: تاريخ الفلسفة الحديثة، ج7، ترجمة طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1987.

5– بول ف–بولر: الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من أدواردز ديوي، ترجمة إسماعيل كشمري، مكتبة الأنجلو المصرية.

6– تشارلز موريس: رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، 1996.

7- زكرياء إسماعيل أبو الضيعات: الديمقراطية وفلسفة التربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2009.

8- زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط2، 1992.

9- زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، ط4، 1993.

10- سعيد إسماعيل علي: فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1995.

11- سعيد إسماعيل علي: أصول التربية العامة، دار المسيرة، عمان، 2007.

12- سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، دار الإسكندرية، القاهرة، 1995.

13- سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1973.

14- سيد إبراهيم الجبار: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، ط1، 1974.

15- صالح عبد الغني عبود: في التربية المقارنة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1974.

16- عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975.

17- عبد الله الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم، بيروت، ط5، 1984.

18- علي زيعور: الفلسفة في أوربا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.

19- عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، 1971.

20- فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

21- محمد جديدي: فلسفة الخبرة "جون ديوي نموذجا"، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 2004.

22- محمود سيد مرسي: التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، دار المعارف، القاهرة، 1988.

23- محمد فتحي الشنبطي: وليم جيمس، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط1، 1975.

24- محمود عبد الرزاق شفشق: الاصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط4، 1986.

25- راكيتوف: أسس الفلسفة، ترجمة موفق الدليمي، دار التقدم، موسكو، 1989.

26– هنري أرفون: فلسفة العمل، ترجمة عادل العلول، منشورات عويدات، بيروت، 1989.

27– وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود السيد أحمد، دار التنوير، بيروت، ط1، 2010.

28– وول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988.

29– وليم جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة محمد الشنيطي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

الدراسات:

1– البار عبد الحفيظ: فلسفة التربية عند جون ديوي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010.

2– بومان محمد: الثورة الكوبرتيكية في التربية عند جون ديوي، جامعة الجلفة، الجزائر.

3– حسين عبد السلام: فلسفة التعلم بالعمل عند جون ديوي وأهميتها في الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2007،2008.

4– حنفي جميلة: دور المدرسة في بناء الديمقراطية لدى جون ديوي، فلسفة التربية، جامعة الجزائر، العدد10، جوان 2013.

5– زياد سعيد بركات: إستراتيجية التعلم بالمشاريع في تنمية مهارات تصميم الدراسات المتكاملة لدى طلبة الصف العاشر الأساسي فاعلية، 2013.

6– كفاء يحي صالد العسكري: الغزالي وجون ديوي ونظرتهما للطبيعة الإنسانية، شبكة العلوم النفسية العربية، 2013.

7– مهند عامر: التعلم القائم على المشروع، جامعة صغار، 2014،2015.

وثائق:

1– عبد الحكيم كرام، محاضرات في فلسفة التربية، وثيقة مدعمة للدعم البيداغوجي للطليعة، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، السنة الجامعية 2005/2004.

2- عبد الله قلي، فضيلة حناش، التربية العامة، سند للتكوين المتخصص، وزارة التربية والتعليم، الجزائر، 2009.

قواميس:

1- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ط1، بيروت لبنان، 2001.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الطبعة1، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

3- رالف ن وين، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمد علي العربان، مكتبة الأنجلو المصرية، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1964.

4- عبد العزيز السيد، معجم علم النفس والتربية، الجزء الأول، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1984.

5- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

الفصل الأول

جون ديوي والعوامل المؤثرة في نشأته

الفصل الثاني

أسس فلسفة التربية عند

جون ديوي

الفصل الثالث

تطبيقات تربية ديوي

وتقييم فكره التربوي

مقدمة

خاتمة

فهرس المحتويات

قائمة المصادر والمراجع

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..... **أ–ب**

الفصل الأول: جون ديوي والعوامل المؤثرة في نشأته

تمهيد..... **04**

المبحث الأول: جون ديوي المفكر والفيلسوف 05

المطلب الأول: سيرة ونشأة جون ديوي..... **05**

المطلب الثاني: أفكاره الفلسفية العامة. **09**

المبحث الثاني: الراغماتية وتأثيرها على جون ديوي..... **13**

المطلب الأول: مفهوم البراغماتية وطبيعتها. **13**

المطلب الثاني:النظرية الأداتية. **21**

المبحث الثالث: الخلفية المعرفية لجون ديوي **28**

المطلب الأول: أثر نظرية التطور الداروينية على جون ديوي. **29**

المطلب الثاني: أثر مدارس علم النفس على فكر جون ديوي. **32**

خلاصة: **34**

الفصل الثاني: أسس فلسفة التربية عند جون ديوي

تمهيد..... **36**

المبحث الأول: فلسفة التربية **37**

المطلب الأول: مفهوم فلسفة التربية **37**

المطلب الثاني: تطور مفهوم التربية عبر العصور **42**

المطلب الثالث: فلسفة التربية عند جون ديوي **54**

المبحث الثاني: مبادئ فلسفة ديوي التربوية..... **57**

المطلب الأول: الخبرة أساس فلسفة التربية عند جون ديوي..... 57

المطلب الثاني: التربية التقدمية عند ديوي..... **63**

المطلب الثالث: المنهج التربوي عند جون ديوي ونقده للمناهج التقليدية **70**

المبحث الثالث: التربية العملية عند ديوي..... **76**

المطلب الأول: المدرسة عند جون ديوي **76**

المطلب الثاني: طريقة المشروع عند جون ديوي..... **82**

خلاصة: **89**

الفصل الثالث: تطبيقات تربية ديوي وتقييم فكره التربوي.

تمهيد:..... **91**

المبحث الأول: التربية الأخلاقية والسياسية والاجتماعية عند ديوي. **92**

المطلب الأول: الأخلاق عند ديوي..... **92**

المطلب الثاني: الديمقراطية والتربية عند جون ديوي. **97**

المطلب الثالث: الإصلاح الاجتماعي عند ديوي من خلال التربية..... **101**

المبحث الثاني: الفلسفة التربوية الديوية في الميزان..... **103**

المطلب الأول: امتدادات فلسفة التربية البراغماتية من خلال المربي جون ديوي..... **103**

المطلب الثاني: انتقادات الفكر التربوي عند جون ديوي. **107**

خلاصة: **114**

خاتمة..... **116**

قائمة المصادر والمراجع..... **119**

فهرس المحتويات..... **124**